www.awu-awu.sy

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

العدد «1323» 2012/12/15 م - 2صفر1433هـ
السنة السادسة والعشرون

٢٤ صفحة - السعر: ١٥ ل.س

اللوحة من رسم الطفلة عهد محمد الشبلاق

نظرية الجمال عند ولتر ستيس

رؤية في مفهوم التسامح والتعصب

النشر الالكتروني وأثره في الحياة الثقافية..

ناظم حكمت والأدباء الروس

من التراث «الأحنف بن قيس»

بواكير ملامح الغزل في شعر جمال بن حويرب

يا سوريا غردي

"سارة" عيار ٢٤

عَزْفٌ غيرُ مُنفرِد

امرأةٌ بكلِّ المفردات

الفجر الدامي

نبيه إسكندر الحسن

للمساءات سحر الأبجدية، وللإعلاميين لمسات الصباحات الندية، يا من كنتم تنسجون من خيوط الفجر أحرفًا من المنظومات في زمن عهر الساسة القطرائيلية الوهابية الأردوغانية، وتصيغون عبارات العروبة لترسموا الشكل وتضاريس المكان للوطن العربي، هولاكو العصر يتلذذ بطعم الدم، يطبخه بالسر، فالدعوة دعوة صلب دعوة سلب تمليها آلهة التمرخمس من الفضة سعر بخس.

يا أصحابي أنتم الرقم الصعب في عالم الوطنية والإعلام والأدب، ستكون أسماؤكم في شرنقة ستأتي لتعيد رحلة التكوين، وسوف نستقبلكم بدهشة لنضارة وجوهكم الجميلة التي تساوي في لحظة كل شيوخ النفط... سيشعل الفرح عيونكم الخائفة على دمشق حين ترون «سوريا» تكبر مع أكمام الورد... لأننا لم نجد الفرح، فهو ممنوع من قاموس الصهاينة ومن قواميس أدواتهم من المستعربين... سنرى ظلالكم في ميتم الشهادة وطين الأرض يغلي حين يناشدكم الرماد..فأنتم من جاهدتم في اخضرار الوقت لتنهضوا من المحار في أتون الضوء.. لتقطفوا الأغنية الوطنية « سوريا يا حبيبتي «...تنشدون جيوش النمل لتمضي نحو حقول القمح.لكن ثمة صراصير من الساسة يدفعون بكل أحقادهم الدفينة من أجل تجزئة سوريا خدمة لأسيادهم خلف محيطات الرعب البشري.

أتذكرون يا أصحابي حين قلت: « سأعلن كل ما جمعت من قصص ورواية وقصيد بخصوص تجار الدم بدءًا من رفات الهنود الحمر حتى دماء أطفال قانا، كل ذلك يؤرجح حالتي بين بوح وانتظار، كخدر يسمرني في جدار المساء.. قررت أن أهاجر دنيا المحابر إلى الساحات لأكون سياجا للوطن.. وكي لا أنسى أنني اعتنقت الحروف، ألاحق الليل وأزرع القناديل على سياج الوطن..لعلني أؤكد ذاتي في سوريا الأم قلب العروبة النابض وبفمي لثغ الكلام، فراحت تضج في داخلي بقايا صور من همجية الصهاينة وبيادقهم على العلماء العرب المفكرين. بدءًا من «محمد الفاضل، محمود شحادة، نزيه الجمالي، ناجي العلي، غسان كنفاني... علماء العراق أيضاوأنتم يا شهداء الإخبارية والقائمة طويلة «. لقد عرفوا حجمكم الحقيقي، لذا لا يحق لهم العبور تحت أقواس المسميات.

اعذروني يا أصحابي الإعلاميين، أدواتي فقيرة أمام معلوماتكم، معلوماتي، أشدها من وعاء الذاكرة كما يشد الزارع الماء في قريتنا ليسقي أكمام الورد والياسمين.

لا أدري ماذا أكتب...أصبحت أنهض بسرعة لأقبض على قبضة تحكم الرائي كل صباح..وحين لا أسمع صوتكم تلفني الكآبة، فأعود إلى مكاني لأنبش ركام الذاكرة، فيتأتى لسمعي صدى صوتكم: « هيا بنا لنبحث عن طاحونة كانت بجوار قلعة دمشق يطل عليها قاسيون، عن معبد، عن النواقيس والمآذن، عن هندسة الموت وربما نبحث عن شهداء الوطن، شهداء الإعلام، شهداء الأدب، شهداء الفن، وكافة شهداء الوطن..ثم نقول ليس للإرهابيين مكان في « سوريا الأمّ «،لكن ربما ستكون الكواكب سكناكم.

- لن نجد إلا عيوننا نسألها في مرآة صقيلة.. لنبحث عن عشق في كل صور الأرض، لكننا لم نجد سوى المزينين بالمساحيق حتى الكذب من كهنة آل سعود والقزم القطري عملاء الماسونية.

آه...يا أصحابي حين تلقيت نبأ استشهادكم، لكن لا خوفا على الوطن مازال رفاقكم يسيرون على دربكم يفضحون دجل تلك الفضائيات الماسونية. لا أدري كيف هبطت الدرجات وهرعت إلى الساحات لأرفع رايات النصر المكتوبة بدمائكم، لأودعكم لكن دون جدوى، عدت إلى وسط المدينة، رسوت في أزقتها أبحث عنكم، فأدركت أنكم تركتم الفقاعات والزبد المغفل.. كلمت نفسي بصمت وأغلقت بوابتين ترسمان خطا من الدمع، حتى ضج رعد في العينين إلى أن ضج الفضاء وعبق المساء، تفرست في قلعة حمص، يطل عليها شاعر بني حمدان، رأيت وجوهكم تبكيها حجارة غسلها الرعد، وأنتم تبحثون عن منار الطريق تمارسون جمر العشق بكل فنون الأدب، وتعلقت روحكم بعشق لغات « سوريا الأمّ « حتى النشيج، وإن ما بين كلماتي ورحيلكم بحيرة من العبارات ترسم شارات النصر.

ما كل ما لمع ذهباً

نجدة زريقة

للطبيعة أسرارها، ومن أوغل في استكشافها حصل على الحكمة التي هي ضالة كل مؤمن، ومن أسرارها ذلك التجانس بين مكوناتها الأساسية التي هي النبات والإنسان والحيوان. ولعل القيمة المشتركة بينها ما يتصف كل منها بهويته الخاصة؛ فالزنابق والرياحين والورود لا تخفي هويتها، وكذلك العضرم تنفر منه حتى الحيوانات ذات الرائحة الكريهة، وهو بذلك لا يخفي سره أيضاً، وكذلك الحيوانات؛ فبعضها أليف ودود، وبعضها مفترس شرس لا يؤمن جانبه، ومهما تلاين وتلاطف الذئب قبل الهجوم على فريسته، ستظهر ميزته عندما ينشب أظافره في جسدها، وكذلك بعض الناس، ويؤلمني أن أقول كثيراً من الناس، تراه فيعجبك مظهره وكلامه وابتسامته، وعندما تتفجر نزواته ينقض على ابن جلدته، فتزول نعومته وبريقه، وتكتسب طابعها الذي خلق معه، فيبدأ بتركيب الحيل لقتلك، فيما تغيض ملاحته وأنسه وبسمته؛ أولئك من يشكلون هم الحياة الحاضرة ومصيبتها على جميع الصعد، ولعل من الطريف القول إن أمثال هؤلاء لا جدوى في معاشرتهم ولا من الوثوق بهم؛ فالكلب على ما منحه الله من طبيعة الوفاء، وما غرز فيه من غرائز الصيد والوثوب، يصبح من العبث أن تجره إلى الصيد إن لم يكن مندفعاً إليه بالغريزة، فأي جدوى يمكن جنيها ممن ترجو منهم مواقف إنسانية وأخلاقية، وتجبرهم عليها إذا كان طبعهم يجافي ذلك، وقد قيل في المثل (ولا خير في كلب تجبره على الصيد) فقد يظهر لك بعض هؤلاء بملامح الملائكة وجلالة القديسين ونقاء الطاهرين، يلمعون تحت شمس الحياة بما ليس فيهم، وقد يغرك منهم ذلك كما يغتر الناس بلمعان المعادن البراقة، وقد يظنونها ذهباً، وهؤلاء مثلهم كمثل شبه الذهب يظنه الرأي ثميناً، وهو في الحقيقة خبثٌ يعود إلى أصله عندما تختبره نار الحقيقة، فتعطيه قيمته الواقعية، ولا يضر الذهب موقعه في الحياة، إن كان قرطاً في إذن حسناء، أو كان مرمياً في سلة من القمامة؛ لأن قليلاً من ماء الحقيقة يجلو وجه الذهب الصافي، وما ينطبق على الرجال، وأضعها بين قوسين، ينطبق على الذهب، فليست الرجولة ذكورة فقط يتساوى فيها الجميع، وإنما هي فلذة الواقع حين يوضع الرجال على مائدة التجارب؛ فالأحداث العظام تكشف هوية الرجال العظام، ويصدق عند ذلك قول المتنبي حين لامس كبد الحقيقة بقوله:

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

من هنا لا ينطبق على كل الرجال هذا الوصف إلا بمقدار ما يحملون بداخلهم من عظمة، تكشف عنها مواقفهم التي هي الصورة الأخرى لأخلاقهم ومبادئهم، وكذلك الوضعاء منهم تكشف سريرتهم عن وخم ما يحملونه من فساد يجعل من ذكورتهم شيئاً أقل من صفر على يسار الرقم، وهنا تتساوى إناث برجولة أرجل الرجال، فالأحداث العظام تكشف هوية الرجال العظام، وفي التاريخ شواهد كثيرة تبدأ من زنوبيا ملكة تدمر، وشجرة الدر حكمت مصر بيد من حديد، وكيلوبترا قبلها؛ وكذلك في حياتنا العملية ترى من يبهرك مظهره، ويخدعك حديثه، وتظن به كل ظن حسن، فيخيب أملك، ويذهب بأحلامك، وتظنه فرساً أصيلاً فإذا به كديشاً.

وتكون خسارة الثقة فيه أقتل منها روحاً؛ لأن قتل الروح أصعب من قتل الجسد، كما قال فيلسوف البشرية المعاصر جبران خليل جبران: (وقاتل الجسم مقتول بفعلته وقاتل الروح لا تدري به البشر) وكلمة أعزي بها وطني الجريح فأقول: يا وطني المبتلى، مزيداً من الصبر والحكمة في تحمل أمثالهم؛ ومزيداً من الدأب والعمل لكشفهم ولتعريتهم والإشارة إليهم بجرأة الفارس والمناضل والمعلم؛ لأنهم أن يتركوا يتكاثروا ويصبحوا عبئاً ويرهقوا كاهل الوطن ويذهبوا بماء وجهه، ولا سيما إذا استطاعوا في غفلة منه أن يتصدروا الصفوف، فيتبعهم من يتبعهم على أنهم ذهب صافٍ، وتكون الطامة الكبرى عندما يبهت اللمعان، فيظهر أصل المعدن المطلي على حقيقته، ومثلما يفاجأ الوطن الغالي بتلك الأوخام تهيض جناحه، وتتفاجأ يومياً على الصعيد الشخصي بمن كنت تظنه أخاً من ذهب وعسلاً مصفى، فإذا به وخم تمجه النفس، علقم مر يعافه الطعم، ولست مع قول الشاعر أبداً:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بد

ولأن العروبة على مفترق الطرق، علينا ألا نحابي وألا نداهن، ونقول للأعور أعور بعينك، ولا نسمح للضرورة مهما تعاظمت أن تفرض علينا أمثال هؤلاء الأعداء الألداء في الداخل والخارج؛ فالناس كما خبرناهم كقول الشاعر:

نقدت الأنام فكانوا صنوفاً
منهم ذناب ومنهم أنوف

وهذا حق الوطن علنيا فإلى متى يتأخر الفرز؟!

وداعات بلا عودة

حسن إبراهيم الناصر

أشعر بأني أتقمص شعور كل طفل ودع والده ولم يعد.. وكل والد لم تزل قبلات ابنه في آخر وداع.. على راحتيه طرية!!! وكل أخ ترك قبلات الوداع على وجه شقيقه ولم يرجع!! وكل أم.. سلاماً لأمهات الشهداء: تركت قلبها مع ابنها ولم يعد!!! فتزفه وهي: تزغرد ليبقى الوطن!! وأتقمص شعور كل: أخت كانت ترتب زينتها وتنتقي قمصان العرس، وتنتظر أخاها أن يأخذ بيدها في لحظة الوداع ولم يأتِ. أشعر أني أتألم كما يفعل كل الأطفال الذين يركضون من غرفة إلى غرفة يبحثون عن آبائهم.. وقد أتعبهم الانتظار!!! أو كطفل: يبحث في صورة أشقائه عن وجه أبيه، وقد ارتدى بدلته العسكرية!! مساء الوداعات يقهرني وكم قهرتنا الوداعات!!! وترفض إرادتي القهر والاستسلام للحزن.. لن نستسلم للحزن!!! من هنا على حافة بحر المحبة والسلام.. توزعت الدنيا أبجدية المعرفة. ومن هنا: توزعت المدن زيت الزيتون.. ولغة المحبة والمحبين والعشاق والمبدعين.. وهنا زرع هذا الشعب الطيب حقوله وسفوح الجبال وحتى القمم آلاف الشهداء لأجلك سورية. وفي سورية التي لأجلها يجتمع كل دول العالم؛ يتآمرون ويمكرون ويخططون، ويستهدفون وحدتها وجيشها وشعبها ورمزها الوطني ولكن: يبقى قرارها الوطني هو الأعلى والأقوى والمنتصر!!! ليطمئن كل طفل وطفلة.. وكل أم وأب وأخت وشقيق شهيد، لن ننسى شهداء الواجب المقدس.. لن تمر المؤامرة!! سورية تنتصر على الإرهاب بعون الله.. بشعبها.. بنسيج هذا الشعب الطيب الموحد.. بكل طيف الأحزاب الوطنية والملتقيات الأدبية والمعرفية المؤمنة بسورية.. وجيشها العقائدي «حماة الديار».

بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان
حلف الفضول والمفوضون الساميون لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة
من جريدة الثورة انطلقت الشرارة

جورج جبور

في 2007/12/10، عشية بدء العقد السادس لصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، أصدرت المفوضية السامية لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة بياناً استعرضت فيه تطور الاهتمام بحقوق الإنسان عبر التاريخ، ضمنته إشارة متواضعة إلى حلف الفضول. صدر البيان في عهد ولاية المفوض السامي الرابع لحقوق الإنسان، وهي كندية.

الإشارة المتواضعة إلى حلف الفضول ليست منصفة بالكامل، وينبغي العمل على تنقيحها وتوسيعها. والأمر منوط بالعرب وبالمسلمين قبل غيرهم. وهو واجب مثقفيهم، وهم الذين استطاعوا إخراج الحلف من بطون الكتب ليصبح وثيقة من الوثائق الدولية لحقوق الإنسان. وهو واجب حكوماتهم أيضاً لأن علينا ألا ننسى أن الأمم المتحدة إنما هي أساساً منظمة حكومية.

وأحسب أن من المفيد، بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان في 12/10 من كل عام، أن أقدم ما لديّ من معلومات حول الكيفية التي وصل بها حلف الفضول إلى العالم، ممثلاً بالأمم المتحدة، عن طريق بيان المفوضية السامية آنف الذكر.

انطلقت الخطوة الأولى من جريدة الثورة السورية. ففي عددها يوم 1993/1/21 ظهر مقال يطالب مؤتمر حقوق الإنسان المقرر عقده في فيينا، حزيران 1993، بأن يشهد بأن حلف الفضول أول هيئة لتنظيم الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم إلى أن يثبت العكس. أثار المقال ردود فعل إيجابية، أهمها أنه حظي باهتمام اختصاصي بحقوق الإنسان هو الدكتور سامي الديب أبو ساحلية، الفلسطيني السويسري البحاثة في المعهد السويسري للقانون المقارن. وقد أفسح له مجالاً واسعاً في كتاب له بالفرنسية عنوانه المسلمون وحقوق الإنسان. ظهر الكتاب عام 1994.

كذلك، جوابا على رسالة مني، ثمة رسالة مؤرخة في 1993/2/5 وردت إلي من الأمين العام للأمم المتحدة وهو آنذاك الدكتور بطرس بطرس غالي، يرى بها أنه يحسن طرح الفكرة في مؤتمر فيينا.

ولدى إعلام السلطات السورية بالأمر تقرر سفري إلى فيينا للمشاركة في المؤتمر ضمن الوفد السوري. إلا أن القرار ألغي قبل موعد السفر بساعات. ولديّ رواية طريفة جداً عن هذه الحادثة.

وفي الصعيد الدولي تم أوائل عام 1994 تعيين أول مفوض سام لحقوق الإنسان، وهو السيد خوزيه ايالا لاسو، من أمريكا اللاتينية. وجهت إليه في 1994/2/17 رسالة ضمنتها مقال جريدة الثورة واقتراحاً بعمل تقوم به المفوضية هو فحص الوثائق الأساسية لكل دولة بمعايير حقوق الإنسان. ومن الجميل أن المفوضية بدأت في السنوات الأخيرة الأخذ بتفرعات مما اقترحت.

أجابني المفوض السامي برسالة مؤرخة في 1993/4/19 نصها كما يلي:

علمت لدى وصولي إلى جنيف، أول شهر نيسان، برسالتكم إلي في 1994/2/17، وبالوثائق المرافقة لها.

أود أن أشكركم على تمنياتكم الطيبة بمناسبة تسميتي لمنصب المفوض السامي لشؤون حقوق الإنسان.

إن بحوثكم التاريخية عن حلف الفضول تشهد بأن مبدأ الاحترام العالمي لحقوق الإنسان له جذور عميقة في مجمل تاريخ الإنسانية. وأن حقوق الشخص الإنساني تتمتع بموضع مركزي في الفلسفة الإنسانية للحضارات الكبرى وللديانات العالمية الكبرى.

خلفت السيدة ميري روبنسون، رئيسة جمهورية إيرلندا السابقة، السيد ايالا لاسو في عمله، صيف عام 1997. خاطبتها برسالة في 1997/7/18 قلت فيها ما يلي:

ولديّ فكرة مستحقة علمياً وتاريخياً، وعظيمة الفائدة عملياً، في مجال نشر ثقافة حقوق الإنسان ضمن محيط الحضارة العربية – الإسلامية التي إليها أنتسب. هذه الفكرة هي اعتبار "حلف الفضول"، الذي عقد في السنوات الأخيرة من القرن السادس الميلادي، أول أو من أوائل التنظيمات المدنية للدفاع عن حقوق الإنسان. واستمر حلف الفضول ذا هيبة أخلاقية وتنظيمية لمدة تزيد عن ثلثي القرن. ورغم أن الحلف ولد قبل الإسلام، فإنه حظي بمباركة النبي العربي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أبطل كل أحلاف الجاهلية ما عداه.

هذه الفكرة التي أرفق بعض مراجع عنها، قد تروق لكم وقد ترون الإشارة إليها، سواء في اليوم العالمي لحقوق الإنسان هذا العام، أو في البرامج التي تخططون لها بمناسبة الذكرى الخمسين لصدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. وكلي ثقة بأن الحفاوة بذكرى /1400/ سنة لحلف الفضول ستعطي العرب والمسلمين دفعة حماسةٍ قويةٍ لمزيد من الإقبال على ثقافة حقوق الإنسان.

لم تجبني السيدة روبنسون. ثم شاءت الظروف أن أجتمع بها في مؤتمر عن حقوق الإنسان عقد في بيروت، ساهمت به رئيساً لوفد سوري رسمي. قبيل انعقاد المؤتمر أجرت معي جريدة السفير مقابلة عنه نشرت يوم افتتاح المؤتمر. أبرزت الصحيفة حديثي عن حلف الفضول في عنوان المقابلة وبه معاتبتي للسيدة روبنسون. طلبت الاجتماع بي. حضر الاجتماع معي في 2002/3/5 عضو الوفد الدبلوماسي تميم مدني. قالت إن الرسالة لم تصلها. أظهرتها على إشعار بالوصول موقع من مكتبها. بعد أسابيع قليلة من اختتام المؤتمر وصلتني منها رسالة مطولة مؤرخة في 2002/3/27 أثبت هنا فقرتين منها:

"متابعة للقائنا في بيروت.... أود إعلامكم أنني قرأت باهتمام الوثائق التي تفضلتم فلفتم إليها انتباهي.

.....

.....

مثل هذا البحث التاريخي يساهم في الحوار بين الحضارات وفي بناء حضارة كونية مبنية على احترام حقوق الإنسان.

.... "

وفي 2002/9/12 تولى السيد سيرجيو دي ميلو مهام المفوضية السامية، وهو برازيلي بدأ عمله في الأمم المتحدة منذ عام 1969. وجهت إلى السيد دي ميلو رسالة تهنئة، ولاسيما أنني كنت مرشحاً لشغل المنصب. حدثته في الرسالة عن حلف الفضول. ثم نشرت في جريدة البعث (2002/8/8) تصوراً لمهام

البقية ص٢٢

الافتتاحية

حسين جمعة

العدوان الأخير على غزة

تمسك الشعب العربي جيلاً بعد جيل بأرضه وهويته، وآمن كل جيل بعروبة فلسطين وبُعدها الإسلامي الحضاري من البحر إلى النهر... ومن ثم كانت على الدوام في قلبه وروحه؛ يدافع عنها كلما آلمها جرح واعتدى عليها غاز، أياً كانت القوة التي يمتلكها... ثم أخذت الغزوات الحاقدة تنال منها وآخرها غزوة بني صهيون التي بدأت بمؤتمر (بازل).

وإذا تغافلنا عن الطبيعة العنصرية السادية للحركة الصهيونية وروحها العدوانية التوسعية والحقد الذي صاغ نشأة دولتها في صميم ما دلّت عليه الجرائم التي ارتكبها قادتها بحق الشعب العربي الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة منذ مطلع القرن العشرين وتحت سمع ذلك الانتداب فإننا لا نتغافل عن المشاريع الصهيو ـ غربية لتفتيت الوطن العربي، واستمرار تجزئة المجزأ والسيطرة على موارده البشرية والطبيعية... فالمشروع الصهيوني قرر ألا يتعايش مع المشروع العربي الوحدوي النهضوي وألا يتعايش مع أي دعوة تفند مفاهيمه ومبادئه الدينية والفكرية التي ورثها من التلمود والتوراة...

لذا لا أريد أن أتحدث عن هشاشة دولة الكيان الصهيوني كما يحلو لعدد غير قليل من الباحثين أن يذهبوا إليه؛ ولاسيما حين يلجؤون إلى تحليلات ما أنزل الله بها من سلطان... ما يدعونا إلى التساؤل: من منا لا يعلم أن هذا الكيان عبارة عن ثكنة عسكرية متطورة ومتقدمة للإمبريالية الصهيونية والأمريكية، فهو يملك كل التقنيات العسكرية والأسلحة البالغة التعقيد إذا تجاوزنا امتلاكه لما يزيد على (مئتي) رأس نووي قادرة على تدمير الكرة الأرضية... فالكيان دولة استيطانية استئصالية عنصرية سادية تمارس كل أنواع (الغيتو) بتلذذ بمثل ما تمارس المراوغة والكذب بنجاح... وقد أثبت التاريخ أن أبناءها لا يرتوون إلا بشرب الدم الإنساني ووفق تعاليم توراتية تفوح بكراهية الشعوب والأمم الأخرى...

ولهذا كانت غزواته الوحشية على الشعب العربي منذ احتلاله لفلسطين عام (1948م)... وهو الشعب الذي أدرك أن حكامه أعجز من أن يحرروا الأجزاء التي سلبت من أوطانه؛ وخبر المتخاذل منهم والخائن والعميل والضعيف... وعرف أن الآلة العسكرية والتقنية المتطورة لدولة الكيان لن تنال من قدراته ولن ترعبهُ، بل لم تعد تستفزه وتجره إلى الفعل ورد الفعل؛ فقد راح يعمل على إعداد قدراته البشرية والعسكرية، ويخطط لكل حركة يقوم بها. لهذا حاز نصره على نفسه في حرب (1973/10/6م) وحقق المعادل الموضوعي للذات والإرادة التي استثمرها من بعد؛ فكان نصر (تموز 2006م) مع المقاومة الوطنية اللبنانية ثم كانت وقفة العزة والإباء مع شعبنا في غزة الذي حقق مقولة (الدم الذي انتصر على السيف) إذ واجه بلحم أبنائه آلة الفتك الصهيونية في عملية (الرصاص المسكوب) المجرمة لمدة (23 يوماً) بدأت منذ يوم (السبت 2008/12/27م)، واستباحت كل المحرمات والقوانين الدولية؛ ثم جاء العدوان الوحشي الصهيوني الجديد الذي أطلق عليه الكيان اسم (عمود السحاب) على غزة يوم الأربعاء (2012/11/14م) ودام ثمانية أيام. وكان العدو الصهيوني قد نقض الهدنة السابقة غير مرة؛ وتمادى في جبروته فافتتح عدوانه الهمجي باغتيال القائد العسكري لكتائب القَسَّام (أحمد الجعبري) الذي ارتقى شهيداً إلى المجد... ومن ثم أخذ شعبنا في غزة يؤكد من جديد عنفوانه وصموده البطولي؛ وإن فقد ما يزيد على (162) شهيداً و(1200) جريح كان عدد الشهداء الأطفال العدد الأكبر فيه إذ بلغ (34) شهيداً، و(274) مصاباً جراح بعضهم خطيرة كما ذكرته وكالات الأنباء ومراكز حقوق الإنسان...

وإذا كان هذا الفعل الإجرامي مروّعاً فإنه عجز عن النيل من إرادة المقاومة وتمسكها بالرد المناسب الذي أثبت أن الرَّدْع لا يقاوم إلا بالردع؛ وأن العدو المتغطرس لم يعدْ قادراً على مفاجأة المقاومة أو خداع العالم، مهما تبجح بأنه يريد أن يدافع عن مواطنيه؛ وكأنه أصبح الضحية على حين أن شعب فلسطين كله ما زال يدفع ثمن جرائمه، وما زالت أرضه مستباحة للاستيطان الصهيوني العنصري... ومن ثم فإن المقاومة المسلحة وحدها هي الكفيلة بإعادة الأرض والحقوق المغتصبة إلى أهلها؛ وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة إذ لم يعد هناك مكان للجبناء والضعفاء، والعملاء والخونة... ولا مكان للجهل والتخلف في حياتنا فعالم اليوم عالمه تحكمه القوة الاقتصادية والتقنية والعسكرية و... والسارق لا يمكنه أن يعيد ما سرقه إلا إذا نفذ القانون عليه. ولمّا كان القانون معطّلاً بفعل همجية القوة الصهيو- أمريكية كان لزاماً علينا أن نتسلح بالحق الذي تدعمه القوة... وإلا فستبقى أرضنا مهددة بالاغتصاب وسرقة مواردها، والهيمنة على شعوبها؛ وإلغاء سيادتها... فالعالم الغربي لم يَرقَّ قلبه لكثرة الشهداء والضحايا الذين سقطوا من أجل حريتهم وحرية أوطانهم؛ ولم يحترم كينونة حقوقهم المغتصبة... فالحق تلزمه القوة وهي التي تحميه وتدافع عنه.

نظرية الجمال عند ولتر ستيس

رضوان السح

إذا كان علم الجمال المعاصر غالباً ما يفسر قيمة الجمال, أو ظاهرة تذوّق الجمال والمفاضلة الجمالية, بناء على ملكة الحدس, هذه الملكة التي هي أشبه بالغريزة, والمعرفة المباشرة المقابلة للاستدلال كما عند برغسون وكروتشه, فإن نظرية الفيلسوف الأمريكي ولتر ستيس(w.t.stac) إنما تقوم بتفسير غموض مفهوم الحدس في الإدراك الجمالي, وإن كان لا يقول ذلك صراحة؛ بل يؤكد أن نظريته على طرف نقيض من النظرية القائمة على الحدس(intuition), وذلك لأنها تقوم على التصور(concept).

.من هو ولتر ستيس؟

ولد في لندن عام1886, ودرس في كلية (fettes) بأدنبرة, وفي كلية الثالوث(trinity) بدبلن؛ حيث نال شهادة التخرج في الفلسفة. وعمل بعد ذلك في وظائف خدمية كان منها منصب رئيس بلدية كولومبو عام 1929.

حصل ستيس على شهادة(d.litt) من كلية الثالوث بدبلن عام 1932, وعمل محاضراً في جامعة بريستون, ثم أستاذاً للفلسفة منذ عام1935 حتى تقاعده. وتوفي عام1967.

.نظرية ستيس في الجمال

يقدم ستيس نظريته في الجمال في كتابه (معنى الجمال- نظرية في الاسطيقا) الذي كتبه عام1929, وقام بترجمته إلى العربية الدكتور إمام عبد الفتاح إمام, وكان د.إمام قد ترجم له المجلد الأول من كتاب (فلسفة هيجل) بعنوان (المنطق وفلسفة الطبيعة), وكذلك المجلد الثاني(فلسفة الروح), وكتاب (الدين والعقل الحديث), وكتاب (التصوف والفلسفة).

ولدخول هذه النظرية ينبغي التمييز بدايةً بين مفهومي(قبليapriori)؛ أي المعرفة القائمة في العقل البشري قبل التجربة مثل مفاهيم: المكان والزمان والكم والكيف والعلة...و(بعديapostriori)؛ أي المعرفة المحصَّلة بالتجربة, وهذان المصطلحان من السمات المميزة لفلسفة كانط, ولهما أهمية في عرض نظرية ستيس في الجمال, لأنها تقوم على مفهوم (التصور التجريبي غير الإدراكي), وهذا التصور هو تجريبي (أي بعدي) و(ليس قبلياً)؛ إلا أنه يمتاز على التصورات البعدية في أنه (غير إدراكي)؛ أي لا يدرك بالحواس. فهذا المفهوم يختلف عن المفاهيم القبلية كالمكان والزمان والعلة..في أنه غير موجود في الوعي قبل التجربة. ويضرب ستيس أمثلة على هذا التصور مثل: التطور, الحب, الرشاقة, الحضارة...فهذه المفاهيم أو التصورات تتطلب تجربة حتى تتشكل في الوعي, إلا أنها لا تدرك بالحواس, فنحن نرى عاشقاً ولكن لا نرى العشق, ونرى سلوكاً أو أثراً حضاريين ولكن لا نرى الحضارة...وهذه التصورات حصّلها الوعي البشري في تجربته الحضارية, وهي التي تميّز- برأي ستيس- بين التجمعات البشرية الوحشية, والتجمعات الحضارية الراقية.

أما كيف يتم إدراك الجمال وفق هذه التصورات؟ أو كيف تخدم هذه التصورات عملية إدراك الجمال؟ فيرى ستيس أن الجمال هو الامتزاج الحاصل بين واحد من هذه التصورات والمدرك الحسي - وكلما كان التصوّر أكثر قيمة, وكان الامتزاج بينه وبين المدرك الحسي أكبر, كان الموضوع المتذوَّق أجمل.

ويرى ستيس أن الفارق بين الإدراك الحسي العادي والإدراك الجمالي يختلفان في أن الأول قائم على الجمع بين المقولات أو المفاهيم القبلية والمدركات الحسية, ولذا يتحقق فيه الغرض الإدراكي ولكن دون المتعة, أما في الإدراك الجمالي فتتحقق المتعة الجمالية الناشئة عن تجسد مفهوم ينطوي على قيمة.

.جذور النظرية

إن قيام نظرية ستيس على التصور واستبعادها للحدس يعني أنها تنطلق من منطلق عقلي أو مثالي, أي أن جذرها الأعمق يمتد إلى أفلاطون, فهذه النظرية - كما يقول صاحبها- تنطبق عليها صفة النزعة العقلية, فهي لا تتخبط في جوانب صوفية أو حدسية أو لا عقلية, وهي تشبه النظرية المثالية أكثر من أي نظرية أخرى. فالقول بأن الجمال هو تركيبة عضوية بين المدرك الحسّي والتصور العقلي هو ما تعبّر عنه الاستطيقا عند هيغل, ويمكن أن نجد جذورها عند كانط, لأن الجمال عنده هو نقطة التقاء بين الإحساس والعقل, كما أن الجميل عند هيغل هو مصالحة بين المادة والإحساس من جهة, والعقل والروح من جهة ثانية.

.موقف النظرية من القبح

يرى ستيس أنّ ثمة خطأً يقع فيه الكثير من الباحثين حين يظنون أن القبيح هو نقيض الجميل تماماً كما هو الشر نقيض الخير, وكما هو الباطل نقيض للحق. ولكن في هذه النظرية رأينا أن الامتزاج بين المضمون العقلي والمدرك الحسّي يعطي الجميل, فإذا لم يحصل الامتزاج لا نحصل على القبيح؛ بل نحصل على غير الجميل, وبعبارة أوضح: إذا لم يحصل الامتزاج لا نحصل على شيء ينتمي للقيمة الجمالية, وذلك مثل نشرة الأحوال الجوية, أو المقالة العلمية.. فهذه الأشياء ليست قبيحة, وهي في الوقت ذاته لا تنتمي إلى المجال الاستطيقي أو الجمالي, إنها من الناحية الجمالية موضوعات محايدة.

ولكن إذا لم يكن القبيح نقيضاً للجميل,فما هو القبيح؟

إذا كان الجميل هو امتزاج التصور التجريبي غير الإدراكي مع المدرك الحسي, فإن ثمة تصورات متنوعة تشعّ عند امتزاجها بالمدرك الحسّي بإشعاعات متنوعة من المشاعر والأحاسيس, فبعض التصورات مؤلمة, وبالتالي ينشأ عنها الألم أو الاستياء, ولكن في الوقت نفسه تنشأ متعة استطيقية من امتزاج التصور والمدرك, فنحصل على المتعة مما هو مؤلم, وتنشأ أطياف من الجميل هي: المرعب, والمأساوي, والجليل, والكوميدي... وأيضاً القبيح.

أي أن القبيح ليس ضدّاً للجميل, بل هو نوع من أنواعه.

رؤية في مفهوم التسامح والتعصب

محمد الجبر

يبدو أن العلاقة بين مفهومي التسامح والتعصب ليست علاقة تضاد حدي فحسب, وذلك بما يجعل من حضور أحدهما نفياً لحضور الآخر, وإنما هي علاقة تولّد في بُعدٍ من أبعادها الذي يتجاور فيه التضاد والتولد؛ لكن من منظور التعاقب السببي الذي يغدو به غياب التسامح, وهيمنة التعصب إلى درجة الكارثة، باعثاً جذريًّاً على البحث عن نقيضه الذي يغدو ترياقاً له, ووسيلةً حاسمةً في المقاومة والمواجهة وعلاج الآثار التدميرية على السواء, وقد تعلمنا من المتحمسين للجدلية التاريخية أن كل ظاهرة تنطوي على نقيضها, وأن اللحظات التاريخية المعتمة, أو حتى حالكة الظلمة, لا تخلو من بصيص ضئيل من الضوء الذي ينفذ عبر الثغرات, ويؤكد حضوره كالأمر الذي يطرحه مبدأ الرغبة في وسط السطوة القاهرة القمعية لمبدأ الواقع. ومعروفٌ تاريخيّاً أمر الحروب الدينية التي ترتبت على حركات الإصلاح الديني في أوروبا, وما اقترنت به هذه الحركات من تعددية مذهبية, أفضى التعصب إلى كوارث دفعت إلى التفكير في مواجهة لهاو والبحث عن خلاص من آثارها المدمرة التي حفرت حضورها الدامي في الوعي الأوروبي في القرن الخامس عشر, وكان مفهوم «التسامح» نتيجةً لهذا الحضور الدامي ومواجهةً له, مواجهة بدأت بسيطة, مهمشة مقموعة, لكنها لم تلبث بفعل التراكم والإلحاح أن تحولت إلى حركة فكرية, بدأت من المعتقد الديني, وبسبب الصراعات المقترنة بتأويلاته وفهم نصوصه, ولكنها لم تقتصر عليه, أو تنحصر في مداره المغلق - ففارقته إلى غيره من مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والإبداعية. وكانت النتيجة انتقال المفهوم من مرحلة النشأة الدينية التي انبسطت عبر القرنين السادس عشر والسابع عشر إلى التطور والشيوع الأوسع في المرحلة المدنية لمفهوم التسامح الذي انطلق من القرن الثامن عشر, متلازماً مع الدعوات الليبرالية والأحلام الديمقراطية المقترنة بصعود الطبقة الوسطى من ناحية, وازدهار حركة الأنوار فيما يعرف بعصر العقل من ناحية ثانية, وسعي الفلاسفة والمفكرين الدائب إلى تأسيس الدولة المدنية, المستقلة تماماً عن الدولة الدينية والسلطة الدينية على السواء, والقائمة على مبدأ الفصل بين السلطات واحترام التعددية التي يلزم عنها حق الاختلاف. وفي الوقت نفسه, مبدأ تداول السلطة وتدوير النخب. وهو المبدأ الذي لم ينطلق تنفيذه إلا مع ترسخ الممارسات الديمقراطية, والاستقلال الكامل عن السلطة الدينية, خصوصاً في توجهها المذهبي الذي لا يخلو التعصب له من قمع المغايرة.

وقد حدث في تاريخنا الحديث بعض ما يشبه التاريخ الأوروبي لانبثاق مفهوم التسامح والحركات المقترنة به, سواء في الازدواج الذي ينطوي على التداخل الذي يصل بين المرحلة الدينية والمرحلة المدنية للمفهوم, أو التمييز الأخير الذي جعل المفهوم قيمة إنسانية أساسية, لا سبيل إلى تأسيس العالم الحديث وتأصيل وجوده من دونها. وإذا كنت المرحلة المدنية تدين للحضور الفكري لأمثال جون ستيورات مل, وإلى التأصيلات النظرية لأمثال كارل بوبر الذي جعل التسامح علامة المجتمع المفتوح وقانونه المعرفي الأول, وجعل التعصب أول أعداء المجتمع المفتوح والقانون القمعي للمجتمع المغلق الذي ينبني على الدمج والتشابه, ويرفض الاختلاف والتنوع والتعدد, وإذا كانت الكلمة الإنجليزية Toleration لا تزال تحمل الملامح الدلالية للمرحلة الأولى الدينية للمفهوم, فتميل دلالتها إلى التخصيص الذي يقترن بالسياسات الدينية, وعلاقة الأديان واحدها بالآخر؛ بل علاقة المذاهب الدينية المتصارعة أو المتباينة داخل الدين الواحد, ومن منظور تباين التأويل النصي, واختلاف التقعيد الفقهي والأصولي, أقول: إذا كانت كلمة Toleration تحمل سمات التخصيص المقترنة بالتأصيل الديني الأول للمفهوم, في تعاقب الدلالات المتراكمة حوله والملازمة له - فإن كلمة Tolerance تحمل دلالة العموم المقترنة بالمرحلة المدنية اللاحقة للمفهوم, والتي تضم - إلى جانب الدلالة الدينية - الدلالة السياسية والدلالة الاجتماعية والدلالة الثقافية, وذلك في جماع الدلالات التي تدور في فلك العموم الذي يجعل من كلمة Tolerance دالة على اللين والمرونة والمسامحة والتساهل وتقبّل الآخر, واحترام الاختلاف بوصفه الأصل الطبيعي للعلاقة بين الكائنات والظواهر والمواطنين والمواطنات, فضلاً عن العلاقة بين الحاكم والمحكوم التي ينبغي أن تكون موازيةً للعلاقة بين تيارات الفكر والإبداع ومذاهب المجتمع وفئاته وأحزاب السياسة ومصالحها وإبداعات الفنون وأنواعها وأجناسها داخل تياراتها التي تؤسسها ثقافة الاختلاف وتؤصلها, ويبدو أن شيوع دلالة العموم من ناحية, فضلاً عن تزايد الوعي الإنساني بكوارث التعصب التي أدّت إلى حروب طاحنة على المستويات الكونية والقومية والوطنية, جنبًا إلى جنب, تصاعد أشكال التمييز السياسي والعرقي والاجتماعي.

ناظم حكمت والأدباء الروس

ممدوح أبوالوي

عاش الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت (1902-1963)في موسكو تسعة عشر عاماً، فلقد أوفده كمال أتاتورك عام 1921 إلى موسكو لمتابعة دراسته، فدرس فيها ثلاثة أعوام ما بين 1921-1924 واستمع في موسكو إلى قصائد فلاديمير مايكوفسكي(1893-1930)، ويشير في إحدى رسائله إلى صديقه الروائي التركيّ كمال طاهر وهو في السجن إلى أنه استمع إلى مايكوفسكي في أثناء إقامته في موسكو، ويقارن نفسه في رسالة أخرى به، يقول في رسالته المؤرخة بتاريخ 1941/5/2:"وقد عثرت على قصائد مايكوفسكي... سأدلي لك باعتراف لا تكرره لأحد: إنني أتعرف على مايكوفسكي مجدداً. فباستثناء بعض القصائد التي سمعته يلقيها في الماضي، هذه هي المرة الأولى التي أقرؤه فيها. أما فيما يتعلق بمفاهيمه عن الفن، فإنني أؤكد لك مع الأسف في بداية اكتشافها... فقد قمنا بالعمل نفسه مايكوفسكي وأنا..."(1) وهو يرى أنّ مايكوفسكي توفق في عمله، وكذلك ناظم حكمت ليس أقل شأناً. ويعود ويذكر اسم مايكوفسكي في رسالته المؤرخة بتاريخ 1941/6/30. وكذلك استمع ناظم حكمت لقصائد الشاعر الرقيق سيرغي يسينين (1895-1925) ونشط الشاعر ناظم حكمت في تحرير جريدة (المطرقة والمنجل)، وهي جريدة الحزب الشيوعيّ التركيّ منذ عام 1918.وانتسب إلى الحزب الشيوعيّ التركيّ عام1924، وحكم عليه بالسجن؛ إلا أنه استطاع الفرار إلى روسيا فأمضى هناك ثلاث سنوات؛ أي مابين 1925 إلى عام 1928، وعاد إلى تركيا، حيث أمضى عشر سنوات مابين 1928 إلى 1938 وأمضى نصف السنوات الأخيرة من حياته في السجن والنصف الآخر في روسيا، إذ سجن مدة ثلاثة عشر عاماً من عام 1938 إلى عام 1950 بتهمة نشر الأفكار الشيوعية في صفوف الجيش، واعترف في أثناء محاكمته بشيوعيته، وكان قد صدر عليه الحكم بالسجن مدة ثمانية وعشرين عاماً، ثم صدر حكم آخر بالسجن مدة ستة وخمسين عاماً ويكتب في سجنه عن معظم الأدباء الروس، الذين أحبهم وقرأهم باللغة الروسية، يكتب مثلاً عن دوستويفسكي (1821- 1881)، وتولستوي (1828_1910)، وعن غوركي (1868-1936) وذلك في رسالته المؤرخة بتاريخ 1941/4/15، إذ يقول:"أما فيما يتعلق بأسلوب دوستويفسكي، الموصوف بقلة الاكتراث، فالآراء مختلفة... إنما ينبغي ألا ننسى أنّ المضمون عند دوستويفسكي هو العنصر الجوهريّ، الذي يحدد شكل الأسلوب. فإذا كان الأسلوب عند تولستوي وغوركي بسيطاً جداً، فذلك لأنّ الاثنين يكنان الاحترام للإنسان، للقارئ، ولأنّ المضمون عندهما شفاف وصادق دون أيّ اعتلال"(2)

ويكتب أيضاً عن تولستوي ودوستويفسكي في رسالته المؤرخة بتاريخ 1941/6/7:" عند تولستوي في "الحرب والسلام"، وفي "آنا كارنينا"، نصادف مقاطع براقة تنفصل عن الباقي، واختيار هذه المقاطع متصل طبعاً بالمفاهيم الاجتماعية، وهكذا بالنسبة لشريحة اجتماعية معينة، المقطع الأكثر بريقاً في "آنا كارينينا" هو مقطع الانتحار، وبالنسبة إلى شريحة أخرى هو مقطع الزراعة والريف، نعم في هذه نلاحظ هنا الكثير من المقاطع البارزة، لكن تولستوي عندما بنى روايته، لم يبنها من أجل هذه المقاطع..."(3)

وكانت زوجته بيرايه تحضر له الكتب ليقرأها في السجن، أحضرت له مثلاً رواية "الأم " لمكسيم غوركي، تعجبه الرواية، ويرى أنّ رواية "الأبله "لدوستويفسكي فاشلة على الرغم من عبقرية مؤلفها، ولكنني لا أوافق على رأي الشاعر ناظم حكمت، فرواية "الأبله"(1868)هي من الروايات العظيمة لدوستويفسكي(1821-1881)ولكنها من الروايات التي تنادي بالمحبة والتسامح وترفض العنف بشكلٍ واضحٍ. ويذكر في رسائله كثيراً اسم الروائي الروسيّ دوستويفسكي، وذلك لأنهما عانيا من تجربة السجن لسنوات طويلة؛ فكلاهما كاد أن يعدم، وخرج كلاهما من السجن، وبعد ذلك تابع الكتابة، كلّ منهما قدم قسماً كبيراً من حياته في سبيل المبادئ، وكتب دوستويفسكي كتاباً عن عشر السنوات التي قضاها في الأعمال الشاقة والسجن في سيبيريا بعنوان " بيت الموتى "(1862)، أيّ بيت المساجين، وأما رسائل ناظم حكمت من السجن فهي تخليد لتجربة إنسانية ولمعاناة الإنسان الذي يضحي من أجل المبادئ التي يؤمن بها، فكلاهما يشبه بروميثيوس

أطلق سراح ناظم حكمت عام 1950 بعد أن أضرب عن الطعام حتى كاد أنْ يموت, وفي رسالته المؤرخة بتاريخ 1942/12/30 يكتب بأنّ وزارة التربية الوطنية كلفته بترجمة رواية تولستوي "الحرب والسلام" ويعود ويتحدث عن الأدب، في الرسالة التي تحمل الرقم "94"؛ ويبدي إعجابه برواية "الدون الهادئ" لميخائيل شولوخوف الحائز على جائزة نوبل للآداب:"قد خرج من الشعب، من الإنسان الموضوع في الشروط الاشتراكية الجديدة، وحتى من الفلاح والعامل الاشتراكيين، لهذا فإنّ دوره في رأيي مهم جداً في الأدب الروسيّ الاشتراكيّ "(4)، وفي الرسالة ذاتها يذكر اسم غوركي، ويذكر في الرسالة (115) أنه أنجز ترجمة الجزء الثاني من رواية " الحرب والسلام " لتولستوي، وفي الرسالة رقم (118) يشيد بعبقرية تولستوي وبساطته: " لننتقل الآن إلى تولستوي، عملاق حقيقي، وكان لهذا العملاق قلب طفل، وهذا رائع..." (5)، ويتابع في الرسالة التالية رقم (119): ويذكر أنّ الشكل عند تولستوي يختلف عن الشكل عند غوركي، ويرى أنّ الترجمة الجيدة هي التي تراعي المضمون والشكل معاً، ويذكر رواية "الأم" لمكسيم غوركي. وكذلك يذكر غوركي في الرسالة (123)، وكذلك في الرسالة رقم (140)، وكان يقوم في السجن بترجمة بعض مؤلفات تولستوي وكذلك بترجمة أفلام سينمائية. وكان ناظم حكمت ينتمي إلى المدرسة الواقعيّة الاشتراكيّة, وأشاد بأدبه كلّ من الروائي حنا مينة(مواليد1924) والشاعر سعيد عقل الذي قال عنه:" هو ثالث اثنين دانتي وشكسبير".

المصادر:

1-رسائل ناظم حكمت, دمشق وزارة الثقافة,1995ترجمة واكيم استور ص102

2- المصدر السابق,ص85

3- المصدر السابق,ص96

4- المصدر السابق,ص270

5- المصدر السابق,ص314

من التراث [الأحنف بن قيس]

رمزي حسين تميم

هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين بن حفص بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمر بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي المري المنقري.

واسمه الضحاك على المشهورة، وقيل صخر، وقيل إن الأحنف وصخراً لقب. ولد في البصرة سنة 3 ق. هـ/ 619م، وقد أدرك الجاهلية، وأدرك النبي (ص) ولم يره. وأمه حية بنت عمرو بن قرط بن ثعلبة الباهلية، وخلف ولداً أسماه بحراً، وبه كان يكنى وقوفي بحر وانقرض عقبه من الذكور، وهو من سادات التابعين، وأحد أجلة العلماء الدهاة العقلاء الحكماء الفصحاء العظماء الشجعان الفاتحين، وهو الأمير الكبير، والعالم النبيل، سيد بني تميم، يضرب بحلمه وسؤده المثل، وقد سارت الركبان بأخباره في الحِلم. كان خطير النفس، بعيد المرمى، ثقة مأموناً سيداً شريفاً مطاعاً مؤمناً، عليم اللسان، وكانت كنايته أبلغ من التصريح، ومازال يسود حتى بلغ مرتبة لا يسمو إليها آمل، ومنزله لا يتعلق بها درك، إذا أُوفد إلى والٍ وفداً كان الأحنف أحد أعضائه، أو رئيسه، أو خَطيبه، وإذا حزب الأمر، وعَظُم الخطب، فالأحنف من يفزع إليه في المشورة. وقف من الإسلام وهو فتى موقفاً يدل على قوة عقله حين قال عن الرسول (ص).. إنه يدعوكم إلى الإسلام وإلى مكارم الأخلاق وينهاكم عن ملائمها فأسلم ثم أسلم قومه. وكان الرسول (ص) قد دعا للأحنف قائلاً «اللهم اغفر للأحنف». كان قليل الكلام وشهد الفتوح في خراسان، وكان كثير الصلاة بالليل، يسرج المصباح ويصلي ويبكي حتى الصباح، واشتُهر بالأحنف لحنفٍ في رجليه (عوج وميل)، وكانت أمه ترقصه وتقول:

والله لولا حنف برجله

وقلة أخافها من نسله

ما كان في فتيانكم من مثله.

قيل للأحنف يوماً: ممن تعلمت الحلم؟.. قال تعلمته، من قيس بن عاصم المنقري. وينقل عن الأحنف قصة حول ذلك قائلاً: «بينما نحن جلوس عنده (أي عند قيس) يقص علينا من أخبار الأقدمين، إذ جيء بابنه قتيلاً وبابن أخيه مقيداً! قال: مَن قتل ولدي؟ قيل له ابن أخيك فقال: فكّوا قيده، واقترب مني. يا بن أخي، لقد أغضبت ربك، وقللت عددك، وقطعت رحمك، وشمت أعداءك!... اذهبوا بابني وواروه التراب، وأطلقوا سراح ابن أخي، وأدوا مئة ناقة لأم ولدي، لأنها من قبيلة غير قبيلتنا.. ثم تابع في سرد حديثه الذي بدأه معنا في أخبار الأقدمين».

ومما رُوي عن الأحنف أيضاً.

كان الأحنف زعيماً لا يُنازع في بني تميم، وكان إلى جانب علي من صفين، ولما استتب الأمر لمعاوية وأراد أن يجمع رأي القبائل على تولية الأمر ليزيد من بعده!.. وكان استخدم معهم الترغيب والترهيب، فكان له منهم ما أراد إلا الأحنف الذي استقبله معاوية وسأله في هذا الأمر: «ما رأيك يا أبا بحر في تولية الأمر من بعدنا لابننا يزيد؟ فقال الأحنف: والله إن صدقناك أغضباك، وإن كذبنا عليك أغضبنا الإله، فقال معاوية: لكن معظم من سبقك إلينا قد بايع!.. والله أيها الأمير إن أردت ترغيبنا فترغيبك مردود عليك، وإن أردت ترهيبنا فالسيف بيننا وبينك. فوالله لن نبايع يزيداً الطاغية، ثم انصرف، فقالت ابنة معاوية: صه يا ابنتي، هذا الذي إذا أومأ إلى قومه بالقتال، مات تحت رايته ألف فارس دون أن يدروا. ما كان للأحنف أن يفلت من يدي معاوية لو لم يعلم معاوية مدى تأثيره على قومه وطاعتهم له».

وللأحنف أقوال مشهورة، مما قاله في حقوق الراعي، «يجب على الخلق من حق الله التعظيم والشكر، ويجب على الرعية من حق السلطان، الطاعة، والسمع، والمناصحة، ومن حق الرعية على السلطان، الاجتهاد في أمورهم، وفي رأس سياسة الوالي قال الأحنف: رأس سياسة الوالي خصال ثلاث: اللين للناس، والاستماع منهم، والنظر في أمورهم. وعن أحزم الولادة قال الأحنف: أحزم الولادة من لم يكابد عدوه القتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا. وعن فساد البطانة قال الأحنف: من فسدت بطانته، كان كمن غصَّ بالماء، ومن غصَّ بالماء فلا مساغ له، ومن خانه ثقاته فقد أوتي من مأمنه».

ومما قال سليمان التيمي عن الأحنف أنه قال: ثلاثة فيَّ ما أذكرهن إلاّ لمعتبر:

«ما أتيت باب السلطان إلاّ أن أدعي، ولا دخلت في اثنين حتى يدخلاني بينهما، وما أذكر أحداً بعد أن يقوم من عندي إلا بخير».

وعن الأحنف: ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من دنيء، وبر من فاجر، وحليم من أحمق، وعنه حينما سُئل ما المروءة؟ قال: كتمان السر، والبعد عن الشر. وعنه: الكامل مَن عُدت سقطاته، ورأس الأدب آلة المنطق، لا خير في قولٍ بلا فعل، ولا في منظرٍ بلا مخبر، ولا في مالٍ بلا وجود، ولا في صديقٍ بلا وفاء، ولا في فقهٍ بلا ورع، ولا في صدقةٍ إلاّ بنية، ولا في حياةٍ إلا بصحةٍ وأمن.

وعنه: العتاب مفتاح الثقالى، والعتاب خير من الحقد. ولهشام عن الحسن قال:

رأى الأحنف في يد رجلٍ درهماً، فقال لمن هذا؟ قال: لي. قال: ليس هو لك حتى تُخرجه في أجرٍ أو اكتساب شكر، وتمثل: أنت للمال إذا أمسكته، وإذا أنفقته فالمال لك. وعنه قال: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إنّي أبغض الرجل يكون وصافاً لفرجه وبطنه. وقيل إنه كلم مصعباً في محبوسين وقال أصلح الله الأمير إن كانوا حبسوا في باطل فالعدل يسعهم، وإن كانوا حبسوا في حق فالعفو يسعهم.

وعنه: لا يتم أمر السلطان إلا بالوزراء والأعوان، ولا ينفع الوزراء والأعوان إلا بالمودة والنصيحة، ولا تنفع المودة والنصيحة إلا بالرأي والعفة.

توفى الأحنف بالكوفة سنة 72 هـ - 691م في زمن إمارة مصعب بن الزبير على العراق.

ما عرضته في هذه العجالة يعد غيضاً من فيض من حِلم الأحنف، وهو يمثل أنموذجاً من النماذج التي تحلى بها نبلاؤنا، وحلماؤنا، فأين نحن منه في أيمانا هذه؟!!.

الهوامش:

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، ج 5، تحقيق محب الدين العمراوي، دار الفكر، 1997م.

- البادية بين عراقة الماضي وأصالة الحاضر، محمد الخالد الشرعبي العنزي، ج2، 1996م.

- كيف تصبح قائداً؟ فنون القيادة والتأثير لدى الأحنف بن قيس التميمي، خالد أبو صالح، مدار الوطن للنشر، ط1، 2007م.

- حليم العرب، الأحنف بن قيس، هاني المسالخي، مطبعة خالد بن الوليد، ط1، 1988م.

النشر الالكتروني وأثره في الحياة الثقافية.. ما مستقبل الكتاب الورقي؟

عبد الحميد غانم

لا شك في أن ثورة المعلومات والاتصالات التي يشهدها العالم المعاصر كان لها انعكاساتها وتأثيراتها في حياتنا الثقافية، وفي مؤسسات المعلومات وإداراتها، وطبيعة مقتنياتها، والخدمات التي تقدمها، وخاصة، بعد النقلة الكبيرة التي حصل فيها التزاوج بين تقنيات الحواسيب والاتصال بعيدة المدى، وظهور الشبكات المتطورة، والنشر الالكتروني بآفاقه ومنافذه الواسعة في ظل عصر مجتمع المعلومات.

وفي ظل البيئة التكنولوجية والاتجاهات الحديثة للمعلوماتية أخذت المكتبات ومراكز المعلومات تعنى بشكل متزايد بتطوير خدماتها، ومصادر المعلومات التي تقتنيها، ومنها مصادر المعلومات الالكترونية، فظهرت الكتب ودوائر المعارف والقواميس والدوريات الالكترونية المتاحة على أقراص الليزر المتراصة (CD-ROM) أو عن طريق نظام البحث بالاتصال المباشر (Online)، فضلاً عن ظهور تكنولوجيا النص الفائق والنصوص المترابطة ومن بينها الوسائط المتعددة (Multimedia) وغير ذلك.

نعيش في عالم اليوم لحظات فارقة بين عصرين من عصور النشر، هما النشر الورقي والنشر الالكتروني، حيث يعيش إنسان هذا العصر نقلة نوعية أخرى على مستوى الوسيلة التي ربما تؤثر في المضمون، وفي شكل طريقة الكتابة أيضاً وهي النشر الالكتروني.

تعريف النشر الالكتروني

النشر الالكتروني: هو استخدام الأجهزة الالكترونية في مختلف مجالات الإنتاج والإدارة والتوزيع للبيانات والمعلومات وتسخيرها للمستفيدين، وهو يماثل تماماً النشر بالوسائل والأساليب التقليدية، فيما عدا أن ما ينشر من مواد معلوماتية لا يتم إخراجه ورقياً لأغراض التوزيع؛ بل يتم توزيعه على وسائط الكترونية كالأقراص المرنة أو الأقراص المدمجة أو من خلال الشبكات الالكترونية كالشابكة (الانترنت)... ولأن طبيعة النشر هذه تستخدم أجهزة كمبيوتر الكترونية في مرحلة ـ أو في جميع مراحل ـ الإعداد للنشر أو للاطلاع على ما ينشر من مواد ومعلومات، فقد جازت عليها تسمية النشر الالكتروني.

ويعد النشر الالكتروني أحد إفرازات البرامج التطبيقية (application programs)التي تنتمي إلى عالم البرمجيات أو الـ (software).

يأتي النشر في أحد ثلاثة أشكال:

1. استخدام الحاسب الآلي لتسهيل إنتاج المواد التقليدية.
2. استخدام الحاسب الآلي ونظم الاتصالات لتوزيع المعلومات الكترونياً عن بعد.
3. استخدام وسائط تخزين الكترونية.

ولذلك فإن إصدار الدوريات والكتب وغيرها عبر شبكة الانترنت أو على قرص ليزري (CD) وتوزيعاً على المستفيدين يمثل شكلاً من أشكال النشر الالكتروني.

أهداف النشر الالكتروني:

تنحصر في هدف واحد هو قدرة الشبكات على نقل الملفات النصية لخدمة الأغراض العسكرية، حتى بدأت أهداف النشر الالكتروني تتعدى إلى المؤسسات الأكاديمية والجمعيات العلمية وغيرها، بما في ذلك الأفراد، وأصبحت أهدافه تتركز في النهاية في الآتي:

1. تسريع عمليات البحث العلمي في ظل السباق التكنولوجي.
2. توفير النشر التجاري الأكاديمي.
3. وضع الإنتاج الفكري لبعض الدول على شكل أوعية الكترونية.
4. تعميق فرص التجارة الالكترونية.

الفروق بين عملية النشر التقليدي وعملية النشر الالكتروني

يتميز النشر الالكتروني عن النشر التقليدي بخصائص منها:

1. إمكانية إنتاج وتوزيع المواد الالكترونية بشكل سريع.
2. إمكانية إجراء التعديلات بشكل فوري.
3. لا يوجد حاجة للوسطاء والتوزيع التقليدي.
4. مساهمة عدد من المؤلفين أو الكتاب في إنتاج المادة الالكترونية بشكل تعاوني.
5. يمكن توزيع المادة الالكترونية لكل أرجاء الأرض من دون الحاجة لأجور التوزيع.
6. يمكن للمستفيد شراء المقالة أو الدراسة الواحدة فقط، بعكس الدوريات التقليدية التي يتم شراء الدورية كاملة.

وبعد هذا العرض لمميزات النشر الإلكتروني وصفاته وخصائصه، نوضح الفروق بين عملية النشر التقليدي وعملية النشر الالكتروني:-

يتميز النشر الالكتروني بإمكانات:

1. إمكانية تجميع الوثيقة بأشكال متعددة صوتية، نصية، وصورية.
2. إمكانية الإنتاج السريع والعالي لكم كبير من الوثائق الالكترونية.
3. تضل الوثيقة الأصلية على جودتها، ومن الممكن أن تضيف تحسيناً وتعديلاً عليها.
4. إمكانية التعديل والتجديد وإعادة استخدام البيانات، ما قد يطرح مشكلة في درجة الثقة والضبط.
5. إمكانية التوزيع السريع للوثيقة بشكل سريع وفي أي مكان.
6. صعوبة تحديد الحقوق الفكرية وتطبيقها وتطبيق القوانين الإبداعية

في حين أن النشر التقليدي لا يستطيع القيام بخطوات النشر الالكتروني؛ فمثلاً:

1. يصعب عمله في الوثائق التقليدية ويطول، وهو مستحيل في الشكل الصوتي.
2. يحتاج إلى وقت طويل في الوثائق التقليدية.
3. عدم القدرة على الإضافة والحذف؛ لأن هذا سوف يشوه مظهرها.
4. عدم القدرة على استخدام البيانات والتعديل فيها، يعطى الوثيقة ثقة تامة وضبط، حيث تضمن سلامتها من العبث.
5. صعوبة نشر الوثيقة بسبب الإجراءات الطويلة التي تمر بها.
6. وهنا على العكس؛ حيث تضمن الحقوق كاملة من ناحية الإيداع وضمان حقوق المؤلف.

مشكلات النشر الالكتروني

على الرغم من الميزات الهامة للنشر الالكتروني، هناك بعض المشكلات التي يمكن أن تظهر، وخاصة في حال التعامل مع الدوريات الالكترونية، ومن ذلك الدوريات الالكترونية المتاحة عبر الانترنت، وكل ذلك أفرز بعض المشكلات العلمية وخاصة في المجال الأكاديمي، ومن ذلك:

1. سرعة توزيع هذه المجلات، وإمكانات البحث فيها مباشرة.
2. قد تشكل النصوص الالكترونية بعض الصعوبات في الكثير من الأماكن؛ إلا إذا تمت طباعتها على ورق، ومثال ذلك قراءة مثل هذه المقالات في الرحلات.
3. المقالات والدراسات المنشورة الكترونياً بشكل كامل تعاني من عدم قبول بعض اللجان الأكاديمية لها كمواد بحثية شرعية في الجامعات والمرافق البحثية والمدارس العلمية الخاصة بالترقيات.
4. سببت جوانب ضعف في سياسات التزويد وبناء المجموعات في المكتبات الجامعية التي تتناول المواد الالكترونية وإدارتها وحفظها على الدوام، وكشفتها.
5. وجود حدود تقنية وحواجز قد تمنع الاستفادة الكاملة من المادة الالكترونية.

أما المشكلات الخاصة بالنشر الالكتروني عند مقارنتها بالنشر التقليدي فنلاحظ:

1. ضرورة توفر بيئة تقنية متطورة في المجتمعات المستخدمة، مما قد لا يكون متوفراً أو مكلفاً، وإلا انعدمت الفائدة المرجوة.
2. قد تكون تقنيات النشر الالكتروني صعبة لدى الكثيرين، وتطلب خبرة.
3. يتم حرمان كل من لا يمتلك قنوات التواصل الالكتروني من الاستفادة والوصول إلى المواد المنشورة الكترونيًا.
4. الجهد المبذول في تصفح المادة الالكترونية هو أكثر من ذلك المبذول في تصفح أوراق المادة التقليدية، حيث الدخول على الشبكة تكبير حجم الخط واستعراض الصفحات وغيرها.
5. إمكانية الدخول بالشبكات واستعراض المواد الالكترونية يرتبط بتوفير إمكانية إضافية، مثل توفر الاتصالات والأجهزة والكهرباء، مما يعني تأثر النشر الالكتروني بضعف أي من هذه الإمكانيات.
6. هناك بعض المشكلات الأخرى ذات العلاقة بمحركات البحث، حيث إن أدوات البحث المتوافرة عبر الانترنت تتميز بالقوة والتطور، ولكن المشكلة في أن مفاهيم التكشيف وحجم التغطية لقواعد البيانات ومحركات البحث المستخدمة تختلف فيما بينها بشكل واضح، إضافة إلى أن خدمات محركات البحث التجارية غير مضمونة الاستمرار والتواصل.
7. إن المخاطر الأمنية بضبط الدخول إلى الشبكات والنظم والتعاطي معها ومحاولات التأثير عليها بالتخريب أو التغيير هي من المشكلات العامة التي تتعرض لها جميع النظم الآلية، ومنها الشبكات والقواعد وتمثل المشكلات الممكنة في الفيروسات المتنقلة بعدة طرق.

فوائد النشر الالكتروني

سمحت تقنيات العصر، ووسائل الاتصال والمعلومات وعالم البرمجيات،للناشرين والعاملين في قطاع الثقافة والأدب دخول فضاء المعلوماتية واستخدام الصفحات الالكترونية والشرائح الممغنطة، والأقراص الليزرية، ووضعوا مكتنزاتهم ومجلداتهم على تلك الشرائح الرقيقة، وطرحوها في الأسواق، أو عبر الشابكة (الانترنت)، فحدث تضخم هائل وغير مسبوق في المعلومات التي باتت تعد المورد الإنساني الوحيد الذي لا يتناقص؛ بل ينمو مع زيادة استهلاكه.

يتوقع الكثيرون أنه مع حلول العقد الثاني من القرن الحالي تفقد وسائل الإعلام المطبوعة والإصدارات الورقية بوجه عام جانباً كبيراً من أهميتها ودورها نتيجة التطورات الهائلة في مجالي الاتصال والمعلومات، وتحل محل أكشاك الصحف والمجلات أكشاكٌ الكترونية، يمكن للقارئ أن يشحن منها جهازاً الكترونياً خاصاً بالصحيفة أو المجلة التي يريدها، ثم يقرأها فيما بعد عن طريق شاشة الكترونية خاصة.

ويقول بيل غيتس ـ مؤسس شركة مايكروسوفت ـ في كتابه «المعلوماتية بعد الانترنت ـ طريق المستقبل»: ـ الذي قام بترجمته عبد السلام رضوان ـ إن الطريق السريع للمعلومات سوف يحول ثقافتنا بالقدر ذاته من العمق واتساع المدى الذي اتسم به التحول الذي أحدثته مطبعة غوتنبرغ في العصر الوسيط. ويضيف: إن الأشياء تتحرك بدرجة من السرعة يصبح من العسير معها إمضاء الكثير من الوقت في النظر إلى الوراء. وأن التكنولوجيا لن تنتظر حتى يصبح الناس متهيئين لها، على الرغم من أنها هي الخادم وليست السيد. وعلى الرغم من ذلك فإن الناس يريدون أن يفهموا كيف ستجعل هذه التكنولوجيا المستقبل مختلفاً، وهل ستجعل حياتنا أفضل أم أسوأ؟ غير أن إيقاع التغير التكنولوجي هو من السرعة بحيث يبدو في بعض الأحيان أن العالَم سيكون مختلفاً تماماً من يوم لآخر. وأن التكنولوجيا هي التي ستمكن المجتمع من اتخاذ قرار سياسي؛ لذا فإن الأمر يستحق بذل الجهد من أجل تأسيس علاقة ألفة مع أجهزة الكمبيوتر».

وقد بدأت تظهر في آفاق عالمنا العربي برامج للنشر الالكتروني؛ من أهمها وأشهرها برنامج الناشر الالكتروني الذي هيأته شركة صخر للحاسبات الآلية، وهو يمثل بيئة متكاملة لبناء قرص مدمج من المعلومات مع إمكانية تحديثها من الانترنت في أي وقت، مما يوفر الوقت والجهد والتكلفة. ويتضمن نظام النشر الالكتروني كذلك أحدث نسخة من ناشر نت، بوصفه ـ على حد قول صخر ـ الحل الأمثل لنشر اللغة العربية على الانترنت، والمتصفح سندباد الذي يتيح استعراض المواقع العربية وتصفح صفحاتها بمنتهى الدقة واليسر.

وقد طورت صخرُ الناشرَ الالكتروني ليكون خيرَ مُعين لدور النشر والصحف والمجلات والمؤسسات التي لديها كميات ضخمة من المعلومات والبيانات يراد نشرها وجعلها قابلة للبحث، لتسهيل الحصول على أية معلومة منها في أقصر وقت ممكن.

مجالات النشر الالكتروني

من خلال تأمل واقع النشر الالكتروني وقضاياه في العالم الآن، يتضح أن هناك مجالين لهذا النوع من النشر هما: النشر عن طريق الأقراص المرنة وأقراص الليزر، والنشر عن طريق شبكة الانترنت أو النشر على صفحات الويب (الشبكة العنكبوتية world wide web = www.).

أولا: النشر الالكتروني عن طريق الأقراص المرنة وأقراص الليزر، طُرحت مؤخرًا في أسواق الحاسبات الالكترونية معاجم عربية / عربية، على هيئة أقراص مرنة وأسطوانات ليزرية، يتم استخدامها عن طريق الكمبيوتر الشخصي. لكن أمام المعاجم الالكترونية ما مصير معاجمنا الورقية المطبوعة في آلاف الصفحات؟!

فهل ستُلغي الوسائط الالكترونية المتمثلة في الأقراص المرنة والأقراص المدمجة أو الاسطوانات الليزرية، آلاف الصفحات الورقية الحاملة لمادة هذه المعاجم التي ظللنا لقرون عدة نعتمد عليها اعتمادا كاملاً؟ وخاصة مع ازدياد عدد مستخدمي الحاسبات أو الحواسيب الشخصية؛ ومع الإقبال المتزايد من قبل الأفراد على اقتناء مثل هذه الحواسيب في منازلهم، فإن المستقبل سيكون بلا شك للمعاجم الالكترونية وليس الورقية، وسيحذو حذو هذا السبيل العديد من دور النشر المتطلعة إلى مسايرة ركب التقدم العلمي والتقني والالكتروني الهائل.

لكن يلاحظ أن المعاجم الالكترونية مازال سعرها مرتفعًا مقارنة بسعر المعاجم الورقية، فسعر القاموس المحيط الالكتروني على سبيل المثال كان يمثل ثمانية أضعاف سعر القاموس المحيط الورقي حتى وقت قريب، ويلاحظ أيضاً أن أسعار المطبوعات الالكترونية بصفة عامة آخذة في الانخفاض. ولكي ينتشر استخدام هذه المعاجم الالكترونية تجب مراعاة تخفيض سعرها لتحقق الغرض المطلوب من وجودها، وهو البحث السريع عن الكلمة ومعناها وضبطها.

ثانيا: النشر عن طريق شبكة الانترنت:

هناك طريقة أخرى للنشر الالكتروني، وهو

النشر عن طريق شبكة الانترنت، أو النشر على صفحات الويب (الشبكة العنكبوتية world wide web = www.).

ونلاحظ أن معظم المواقع العربية المهمة التي تهتم بالنشر الالكتروني على الانترنت تنتمي إلى كيانات ثقافية مثل: مؤسسات الصحف والإعلام الرسمية العربية ـ مؤسسات الإعلام السياحي ـ غرف التجارة ـ مواقع المجلات العربية ـ الدوريات الثقافية الصادرة باللغة الإنجليزية ـ المتاحف العالمية المالكة لمقتنيات إسلامية وعربية ـ مواقع شركات تطوير البرمجيات العربية.

لكن هل ينجح حقا الكتاب الالكتروني في أن يأخذ مكان الكتاب التقليدي في عالم متغير بهذه السرعة؟ إن الحاسب الآلي وشبكة المعلومات وكل ما يتصل بهما من برمجيات وتقنية حديثة تنفرد ببعد رابع خاص بها. فهو يفوق في سرعته كل المقاييس الزمنية المعروفة. وأحدث حاسب تشتريه اليوم من السوق، يخلفه في غضون ستة شهور جيل جديد من الأجهزة والبرمجيات تحيله إلى المعاش. فإذا افترضنا مثلاً أن الرواية الجيدة تحتاج إلى عامين من الإعداد لتأخذ سبيلها إلى النشر، يصبح أديبنا الالكتروني بالمقاييس الزمنية للتقنية الحديثة كالأديب الذي يكتب رواية ثم ينتظر خمسين عاما قبل أن ينشرها.

الايجابيات والسلبيات

الحديث حول النشر الالكتروني يدعونا إلى عرض إيجابيات ومزايا هذا النوع من النشر وسلبياته وعيوبه ومخاوفه أيضًا:

أولا: الإيجابيات والمزايا:

1 ـ يُحرر النشر الالكتروني النصوص من قبضة الخطية linearity الصارمة التي فرضها عليها جمود الورق وثبوت الطباعة، حيث يمكن الربط ـ في حالة النشر الالكتروني ـ بين أي موضع وآخر داخل النص أو الوثيقة، وكشف مسارات التشعب داخل النص المفرد.

2 ـ يُتيح النشر الالكتروني فرصاً لا متناهية من عدد الصفحات الالكترونية في شريحة صغيرة للغاية، فعلى سبيل المثال يمكن لقرص ليزر c.d واحد أن يسع ما يوازي ألف كتاب بحجم القرآن الكريم، أو أكثر من ذلك، فضلاً عن الطابعات التي ستكون في حجم علبة الكبريت.

3 ـ الحرية المطلقة في نشر ما يود الإنسان نشره، فلا قيود، ولا رقابة على النشر الالكتروني، وخاصة على شبكة الانترنت.

4 ـ يُتيح النشر الالكتروني إنشاء مجلات الكترونية تقضي على عنصري الزمن والمسافة اللذين يفصلان بين الناس، ويحررها من أراد من الكتَّاب، وفي هذه الحالة سيصبح الكاتب المشترك أو المستخدم لشبكة الانترنت قادراً على نشر إنتاجه بنفسه، بل إنه سيكون قادرًا على قراءة نصوصه بصوته وإرفاق صورته مع النص، كما أنه سيتلقى ردودًا من كتاب آخرين، ربما لا يكونون على علم بشخصية صاحب النص، لأن التعامل في هذه الحالة سيكون مع النص المرسل، وليس مع الكاتب ذاته.

5 - يلاحظ أن شبكة الانترنت تعمل على إلغاء جميع الفوارق الطبقية، ذلك أنه لن يكون هناك كمبيوتر أفضل من كمبيوتر داخل الشبكة، وبالتالي لن يكون هناك شخص أفضل من شخص، إذ تعتمد هوية الكاتب ومركزه في الشبكة على كيفية تقديمه لنفسه ولأفكاره، فإن الحكم النقدي عليه سيكون من خلال التعامل مع النص نفسه، وليس من خلال اسم الكاتب أو هويته أو مكانته.

6 ـ إذا كانت تكنولوجيا الطباعة نجحت في إسقاط سلطة المتحدث على مستمعه (عن طريق قراءة الورق)، فربما يكون بمقدور تكنولوجيا المعلومات إسقاط سلطة المؤلف على قارئه، لينتزع هذا القارئ حقه في حرية قراءة نصه وفقًا لرؤيته وغايته.

7 ـ التوفير في تكاليف الاستخدام الورقي: حيث تكون عملية النشر فاعلة ومجدية اقتصادياً عندما لا تعتمد على استخدام الورق، الذي ترتفع أسعاره بصورة ملحوظة، من وقت لآخر. كذلك فإن اعتماد النشر الالكتروني، يجعل الأمر بيد المستفيد لتحقيق رغبته في الحصول على البيانات أو المعلومات بشكل ورقي من خلال توفير أمر للطباعة، يتسنى له من خلاله طباعة المادة التي يحتاج إليها ورقياً.

8 ـ التوفير في تكاليف الإنتاج الكمي: حيث تمثل تكاليف إنتاج المواد المنشورة الكترونياً في إعداد المواد نفسها وتجهيزها كما في النشر الورقي، ولكن تكلفة الإنتاج الكمي بعد ذلك تعدّ رخيصة مقارنةً بوسائل النشر التقليدية.

9 ـ انخفاض تكاليف المراجعة والتعديل والإضافة: حيث من السهل إجراء عمليات المراجعة وما يترتب عليها من تعديلات (إضافة أو حذف) على المواد المنشورة الكترونياً، والحصول على نسخة محدثة للنشر من دون تكلفة كبيرة وبسرعة منقطعة النظير.

10 ـ توفير إمكانيات البحث: حيث تتوافر في طريقة النشر الالكتروني إمكانيات تسهل للمستخدمين البحث والوصول إلى البيانات والمعلومات المطلوبة مباشرة وبسرعة كبيرة.

11 ـ مؤثرات التشويق والانطباع الجيد: حيث يتسنى من خلال النشر الالكتروني واستخدامه إضافة عنصر التشويق وجلب المتعة للمستفيد بإضافة المؤثرات السمعية أو البصرية في إطار المادة المنشورة الكترونياً، وبما يجعله مستفيداً في جانبي المعرفة والمتعة، وهنالك أيضاً ما سينعكس على المستفيد من انطباعات حول مواكبة الجهة المتبنية للنشر ومتابعتها للتقدم التكنولوجي ومسايرتها للتطورات في هذا المجال.

السلبيات والعيوب:

1 ـ يعد النشر الالكتروني وسيطًا باردًا قد يَحدُّ من قدرة الفرد على نقل أفكاره وأحاسيسه، وقد يؤدي إلى الانعزالية.

2 ـ السرقات الأدبية والعلمية. فوجود هذا الكم الهائل من المعلومات على شبكة الانترنت يجعل من السهل القيام بعمليات القرصنة والسطو على المواد المنشورة، من خلال إنزال هذه المواد أو نسخها. ومع صعوبة متابعة كل ما ينشر على الشبكة بجميع لغاتها، فإنه يصعب اكتشاف السرقة بسهولة.

3 ـ ضعف استخدام اللغة العربية في لغات البرمجة، لاسيما مستوى الصرف والنحو، الأمر الذي يؤدي إلى انغلاق نصي يؤدي بدوره إلى انعزالية وثائقنا الالكترونية، وسرعة اندثارها، وضعف فاعلية مواقعنا العربية.

الكتاب الالكتروني يهدد
مستقبل الكتاب الورقي

تحولات كبيرة تشهدها صناعة الكتاب في العالم، فقد بات النشر الالكتروني يهدد فعلياً سطوة الكتاب الورقي، إذا لم يتجاوزه تسويقياً.

على الرغم من متعة قراءة الكتاب، وتصفحّ أوراقه في أي مكان، وفي أي وضعية وفي أي زمان بحرية في الحركة؛ إلا أن الحاسوب يهدد مصير الكتاب الورقي.

لقد بات الكتاب الثقافي الورقي في خطر، والإقبال عليه مشروط بالحاجة المدرسية أو التعليمية إليه، وناب عنه في تكوين الأفراد..الحاسوب الذي صار يمكننا من الحصول على وجبات معرفية جاهزة، بنكهة متغيرة.

تمر صناعة الكتاب بمرحلة حاسمة؛ فالكتاب الذي أتت به مطبعةُ غوتنبرغ مُهدَّدٌ بمنافسةِ الكتابِ الالكتروني. الكتاب الالكتروني اقتحم الأسواق منذ أكثر من عشر سنوات، لكن النجاح الذي يلقاه حاليًا يعود إلى ابتكار شاشات لهذه الكتب تُضاهي الصفحات الورقية للكتب التقليدية.

الكتاب الالكتروني يختلف عن الكتاب الورقي بالكثير من الميزات؛ لاسيما من ناحية سهولة الحصول عليه وقلة التكاليف وقدرة على تجميعه وحفظه في مكان يسهل استخدامه، كل ذلك ساعد على توسع سوق الكتاب الالكتروني.

فالانترنت التي توفر الكتاب الالكتروني مثلاً لا تقدر أن تغيبّ الكتاب الورقي حتى وإن خفضّت التكلفة إلى العشر لكن الحاسوب بإمكانه اليوم أن يساعد على دعم الكتاب الورقي بالتعريف به ضمن مواقع على الانترنت، ويسمح إما بالمبادرة باقتناء الكتاب الورقي لمخالطته عن قرب، أو بتبني فكرة الكتاب الالكتروني والإطلاع عليه والاحتفاظ به في قرص ليزري يسهل حمله وحفظه في المكتبة المنزلية.

المشكلة ليست محصورة بالنشر الالكتروني، وإنما في قدرتنا على توظيفه في الاطار الذي يخدم نشر الثقافة، والدليل على ذلك أن البلدان الغربية التي تصدرّ إلينا الثقافة الرقمية والحواسيب هي في آن تغرق السوق الداخلية والعالمية بكم هائل من الكتب الورقية في طباعة مافتئت تتطور وتغري بالمطالعة، وتنشر الكتاب الالكتروني وتخلق به قاعدة قراء عريضة تتناسب وحركة التسويق المطردة، التي تسعى من ورائها إلى غزو الآخر وحمله الى المثاقفة والدخول في دورة عولمية مغلقة بروح كونية. اذاً هنا الخلل..

الخلل ينحصر في تصورّنا للكتاب وعلاقتنا به وأثره في حياتنا... نتهافت ونعمل جاهدين على توفير أجهزة تكنولوجية، رقمية حديثة من أجل تعميق المسافة بيننا وبين الكتاب، رغم أننا في أمة قدسّنا الكتاب، ثم تبرأنا منه، ونسينا أنفسنا في غمرة إغراءات الصورة في الفضائيات والفيديوهات.

الحاسوب لا يلغي الكتاب بل يدعمه، وعلينا أن نبحث عن الأسباب الحقيقية لتأخرنا عن اللاحق بركب التقدم في جعل النشر الالكتروني يخدم الكتاب.

النشر الالكتروني وتأثيره على المكتبة:

لا شك في أن هناك تأثيرات على المكتبة من خلال تعايشها مع النشر الالكتروني منها:

1. تخصص المكتبات التجارية في الدول المتقدمة جناحاً خاصاً لبيع أقراص المدمجة، CD ROM ومع تزايد استخدام هذه الأقراص بدأت هذه المكتبات تنظيم بيعها من خلال برنامج حاسوبي يصنف هذه الأقراص موضوعياً، ويعرضها ضمن قوائم، مما سهل على العميل انتقاء القرص الذي يريده.

2. أخذت المكتبات العامة تخصص قسماً خاصاً بالأقراص المدمجة يستطيع فيها المشترك أن يستعرض الأقراص الموجودة ضمن قائمة استعراض عامة، وإذا اختار القرص المطلوب يستطيع طلبه.

3. تستطيع المكتبات العامة اليوم أن تبحث عن عناوين الكتب التي تغطى مجالاً معيناً يطلبه المستفيد، وذلك صورة سريعة من خلال برامج حاسوبية، وإذا لم تكن النتائج مقنعة يستطيع الاستعانة بالانترنت من خلال فهارس بعض المكتبات، ويمكن طباعة هذه المعلومات في ثوان، وهنا يكمن الفرق في الوقت بين البريد وبين هذه العملية.

4. في عالمنا اليوم تتضاعف المعلومات بشكل هائل، مما يجعل متابعة كل شيء في هذا المجال من مقالات وكتب وتقارير ونشرات مستحيلاً من دون استخدام قواعد بيانات متقدمة تستعين بمكانز متخصصة، ومن الملاحظ عند بعض المنظمات العلمية تحديث القواعد بصورة تعاونية، وإصدار القوائم المحدثة سنوياً على أقراص مدمجة وتوزيعها بهدف تعميم الفائدة منها.

5. تستطيع المكتبات الحديثة اليوم، وبدلاً من إصدار نشرات الإحاطة الجارية شهرياً، إصدار هذه النشرات بشكل يومي من خلال موقعها في شبكة الانترنت من دون تحمل طباعة وتكاليف بريد.

6. تستطيع المكتبات الحديثة اليوم نشر كشافاتها ومستخلصاتها ونظم استرجاع المعلومات الخاصة بها من خلال موقعها على شبكة الانترنت، وبالتالي يستطيع المستفيد أن يحصل على هذه المعلومات وهو في مكتبه أو بيته، مما يسهل عملية تحديد الكتاب أو الشيء المطلوب.

7. تستطيع المكتبات الحديثة بناء نظم الأرشفة الضوئية لتحل محل تقنيات المصغرات الفلمية، ذلك لحفظ صور المقالات المهمة من الدوريات والتقارير والنشرات، وبذلك يمكن إدخال المقالات الحديثة واسترجاعها بسهوله تامة من خلال قاعدة للبيانات، ولقد أصبح هذا الحل ممكنًا بسبب الانخفاض المستمر في أسعار الأقراص الضوئية؛ مما جعلها في متناول الأفراد العادين.

8. لا بد للمكتبات الحديثة من أن تتعامل مع الكتب الرقمية الالكترونية وتستطيع أن تحقق الفائدة القصوى من ذلك، أن تقوم باستخدام نظم استرجاع المعلومات للنص الكامل، وهي التي تبحث في النص أو المقال، وذلك بواسطة الكلمات المفتاحية من صلب النص نفسه.

9. لقد ارتفعت أسعار بعض المطبوعات، مما يجعل هذه الأسعار تتجاوز القدرة الشرائية لأي فرد، ولا يمكن توفرها إلا في المكتبات فقط، وقد أدى الارتفاع المستمر في الأسعار إلى أن أصبح بعض هذه المطبوعات خارج حدود إمكانات المكتبات الصغيرة والمتوسطة، وهذا يقلل فرصة الحصول على المعلومات.

10. يتعزز استخدام الوسائط الالكترونية لإرسال الرسائل وتقديم خدمات التكشيف والاستخلاص والموجزات الإرشادية والأدلة والتقارير الفنية وبراءات الاختراع والمواصفات القياسية والدوريات المتخصصة في العلوم. ولكي يكون من الممكن استرجاع هذه المواد التي تشكل مصادر معلومات أساسية في المكتبات، لابد من وجود نماذج مبدئية لنظم المعلومات تسمح بإعداد الوثائق ونقلها والإفادة منها واختزانها وتكشيفها ثم إعادة بثها من دون الحاجة إلى الورق.

11. تغيير مفهوم التعامل بين الناشر أو المزود والمكتبة، وأصبحت هناك حاجة إلى فهم قانوني أكبر لهذه التعاملات، وخاصة فيما يتعلق بالتراخيص والعقود وصياغتها وأجراء المفاوضات وطريقة دفع الالتزامات المالية.

12. أصبحت المخاوف الأمنية من الاختراقات أو الاستخدامات السيئة للنظم هاجساً حقيقياً أفرزته التقنيات والنظم الحديثة التي جاءت إلى المكتبات وأدخلتها في بيئتها.

13. المكتبات عموماً والأكاديمية أو البحثية المتخصصة على وجه الخصوص تجد نفسها ملزمة بالسير في طريق التطور والمتابعة، بغية تنفيذ برامج تخدم روادها بشكل يتناسب مع تطورات العصر، ويصل بها دائماً إلى هؤلاء الرواد في أماكنهم، فيصبح مفهوم الارتياد يتجاوز الحضور الجسماني إلى مبنى المكتبة المحسوس بكثير.

االنشر الالكتروني والتعليم

لا يخفى على أحد، أن التطور التقني والالكتروني الذي نعيشه اليوم، ركز وبشكل مباشر على التعليم الحديث، وذلك من خلال العديد من الاختراعات التكنولوجية، التي تفيد الطلاب والمدرسين على حدٍ سواء، وتساعدهم في تطوير مهاراتهم وقدراتهم التعليمية؛ سواءً في الإلقاء أو الاستقبال. الأمر الذي انعكس على التعليم بوجه عام، وأثر فيه بالإيجاب وبشكل مباشر. وكان من بين أهم التقنيات الجديدة، التي ركزت وأثرت على وسائل التعليم التقليدية، «الكتاب الالكتروني»، الذي أصبح معتمدًا في عشرات المدارس حول العالم، كبديل رئيسي وأساسي عن الكتاب الورقي التقليدي.

لاشك في أن للكتاب الورقي التقليدي، على الرغم مما يمتاز به، العديد من السلبيات، ولعل أهمها هو الوزن والحجم، الذي يجعل منه عقبة كبيرة للطلاب في المراحل الأساسية والابتدائية، ويجعل تنقل مجموعة من هذه النوعية من الكتب الورقية ذات الأحجام والأوزان الكبيرة، غاية في الصعوبة على الأطفال وصغار السن.

لذلك سارعت الشركات التكنولوجية على تطوير الكتاب الالكتروني، وعدّه البديل الرئيس عن الكتاب الورقي، وذلك من خلال قارئها للكتب الرقمية، الذي يعمل على تحويل القراءة من الكتاب إلى القارئ الرقمي، ونذكر هنا ما وفرته شركة أمازون من ملايين الكتب الورقية، على هيئة كتب رقمية، للراغبين

البقية ص٢٢

بواكير ملامح الغزل في شعر جمال بن حويرب

عبد اللطيف الأرناؤوط

الشاعر «جمال بن حويرب» من أبرز الأصوات الشعرية في دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم، وأكثرهم إسهاماً ومشاركة في النشاطات الأدبية في بلده، ويعدّ الممثل الأدبي للشعر العربي الاتباعي الحديث الذي يجمع في أسلوبه بين التقاليد الشعرية الاتباعية الموروثة ومقتضيات الحداثة الشعرية التي يمليها التطور الاجتماعي في حياتنا المعاصرة.

ويشير الأستاذ «سيف المرّي» إلى إسهامات الشاعر العديدة في النشاطات الأدبية لبلده، ومنها الفعالية التي قدّمها خدمة للشعر العربي في مهرجان شعري تحت عنوان (ألف شارع ولغة واحدة).

مثلما يتناول الكاتب «نواف يونس» جهد الشاعر في إعداد نفسه للإبداع الشعري؛ فقد بدأ بحفظ الشعر العربي الفصيح والنبطي.

وورث عن أسرته التي أدركتها حرفة الأدب مكتبة عامرة بكل ما يتعلق بالموروث الإماراتي، وساعده ذلك على حفظ جوانب التراث الشعري في بيئته العربية الإسلامية وروايته ودراسته.

فكان شعره صادراً عن رؤيته الشعرية للوسط الذي عاش فيه، من حيث القيم ومقوّمات الصياغة الشعرية التي تلتزم ديباجة الشعر العربي الموروث وفنونه، وأساليب التعبير وأنماط البنى اللغوية والمفردات، مع استصفاء ما يلائم العصر من المفردات والتراكيب والتزام ببنية البيت الشعري وقافية القصيدة الموحّدة.

وفي الدراسة التي قدمها الشاعر «جمال بو حويرب» لقصته مع الشعر ما نلمسه أنه معجب بالمدرسة الأدبية الشعرية الموروثة التي عرفت بعبيد الشعر، وتقوم على التأني في معالجة النصّ الشعريّ قبل إعلانه للملأ، شعراء الحوليات الذين اتخذوا الاحتذاء الشعري منهجاً لهم، وجهدوا في تنقيح قصائدهم لتكون بدورها نماذج تُحتذى، فالشاعر حين يعرض شعره للناس إنما يغامر بسمعته الشعرية؛ فمن حقه أن يتأنى ويتردد، ويبدل ولو استغرق ذلك حولاً كاملاً...

ويستنكر الشاعر «جمال» تسرع بعض أدعياء الشعر اليوم الذين يتسرعون في نظم نتاجهم تلبية لدواعي السرعة في عصرنا، ويبدو أن فساد الذائقة الشعرية لدى بعض المعجبين بهم، قد مكّن لهم من البروز، ولو كان نتاجهم غثاء كما يقول النابغة:

والشعر شتّى يهيم الناطقون به

منه غثاء ومنه صادق مَثَلُ

وقوله:

وإذا ما أذلتَ عرضك أودي
وإذا صين كان غير منال
ثم قل للمريد حوك القوافي
إن بعض الأشعار مثل الخبال
أثقفِ الشعر مرتين وأطنب
في صنوف التشبيب والأمثالِ

***

يعود ولع الشاعر «جمال بن حويرب» إلى عهد الصبا، حيث رسخت ملكته الشاعرية بحضور مجالس الأدب من كبار السن في بلدته، وجلّهم لا يعرفون القراءة والكتابة، لكنهم يحفظون الشعر فصيحه ونبطيه، فاستقامت ملكته الشعرية بهذا السماع، والرجوع إلى كتب التراث الشعبي والفصيح، ثم قويت ملكته الشعرية بالتتلمذ على شيوخه، وحفظ عدد من المعلقات والأحاديث النبوية، وقراءة القرآن الكريم، فنظم في الرابعة عشرة من عمره قصيدة عارض فيها معلقة الشاعر «عمرو بن كلثوم» وجهها إلى زميل له يدعى «خالد» يقول فيها:

وأعطيت الخويلد بيت شعر
يشاكهه فأعجزه الجواب

فقلت له بأن الشعر صعب
قليل من يوافقه الصواب

فحاول ما استطعت لعل يوماً
تواتيك القوافي لا تُعاب

*

وهي أبيات تشعر بنضج مبكر لموهبة الشاعر، وامتلاكه الديباجة الشعرية من السماع والقراءة، ومع ذلك لم يكن «جمال» راضياً عن شعره إلى درجة اليأس، إلى أن نظم في التاسعة عشرة من عمره قصيدة عنوانها (سلمى) نالت قبولاً من نفسه وممن قرأها، ويذكر ناصحاً المبتدئين من الشعراء ألاّ يضعوا نصب أعينهم في نتاجهم الاقتداء بكبار الشعراء، فهؤلاء قمم لن يبلغوا ذراها إلاّ بعد رحلة وعناء وتمرّس، وليرضَ الشاعر الناشئ عن نفسه حين يشعر بالإحباط، لأن الدرب طويل، والموهبة تصقل بالمثابرة، والشاعر يستصفي نهجه بالمعاودة والتعبير عن الذات بلغة عصره، والخروج من دائرة الاتباع، وبخاصة في مجال الاصطفاء اللغوي والابتعاد عن المهجور والحوشيّ من التراث، وبهذا الالتزام وجد الشاعر «جمال» ذاته الشعرية، وسلك دربا مذلّلة في فن الشعر تلائم زمانه وعصره، فكان شأنه شأن الشاعر البغدادي «علي بن الجهم» الذي يقول:

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وهجر تشابيه البادية التي لا تخلو من جلافة وغلظة...

من ثمرة هذا التحول لدى الشاعر «جمال» ما نلمسه من رقة في غزله كقوله:

لكم ظلمتك يا ذات الشذا العطر
وكم جرحتك بالآهات والسّهر

وقوله:

بعينيك يا لُبنى جمالٌ ورقّة
تضاهي جمال العشق حين يزيد
فلا حُرمتْ عين رأتك من الهوى
ولا هانَ قلب في هواك عميد

*

ويتبيّن لنا من عنوان ديوانه (فاتنة) ومن قصائده أن الشاعر «جمال بن حويرب» يولي شعر الحب والغزل أولوية في نفسه، وهو محق في ذلك، ففي الديوان فنون من الشعر مختلفة منها: المديح والفخر والرثاء، لكنها ترتد جميعاً إلى نزعة الحب التي تفيض بها النفس أمام المرآة أو الممدوح أو المرثي أو الذات أو الوطن والعشير.

فالحب هو الأفق الإنساني الذي يجمع كل هذه الفنون إذا كان الشاعر صادقاً في قوله.. والشاعر «جمال» في عالم الحب يسمو إلى أفق إنساني نبيل عبّر عنه بقصيدة عنوانها (مشاعري)... فقال في حبه للناس:

لو يعلم الناس بما في مهجتي
أو أدركوا السرّ الذي في خاطري

لو يعلمون قصتي مع الحياة
إنها عجيبة .؟.. كالشاعر
لو يشعرون بعذابي لحظة
من الجوى ومن فراق جائر

أو يحسبون كم أنا أحبهم
وما أسأت للمسيء الغادر

لكنني أعفو بفكر حازم
وحُسن ظن وفؤاد شاكر

لو علموا لدمعت عيونهم
أسى وقالوا ياله من صابر

لكنهم قد جهلوا مودّتي
فأول الأمر لهم كالآخر

*

وإذا كان الديوان نبضة حب صادقة، فإن من أبرز فنون الشعر فيه حب المرأة، فملامح الغزل فيه تحتل مكانة الصدارة، والشاعر يقبل على التعبير عن قصته مع المرأة محملاً بإرثٍ طويل من شعر الغزل الموروث عفيفه وصريحه، لكنه يعزف عن الغزل التقليدي في مطالع مدائحه، ويؤثر أن يستهلها بالحكمة، كما في مطالع قصائده في مدح سمو الشيخ الأديب «محمد بن راشد آل مكتوم»، مثل مطلع قصيدة له عنوانها «المجد»:

على المرء أن يسعى وأن يتجلدا
وأن يبلغ الجوزاء مجداً وسؤدداً

ولعله في ذلك النهج يترفع عن أن يجعل من غرض الغزل الذي يريده نابعاً من القلب عن أن يكون مطية لغرض شعري آخر، ولو كانا يلتقيان في إطار الحب الإنساني.

من أبرز ملامح الغزل لدى الشاعر «جمال بن حويرب» صدق المعاناة، والعفة في القول، فهو لا يقبل أن يدنّس قدسية الحب بحاجات الجسد الحسيّة، وبذلك يتجاوز حتى الشعراء العذريين كجميل بثينة وكثير عزة:

أحبك حتى لا أريدك حاجة
وللحب معنى ما حواه كتاب
وفي الشوق لذّات يعيش بها الهوى
وأنت كروحي والبعادُ عذاب

في شعر «جمال» قدسية الحب وسمو المعاناة ونبله، وترفعه عن اللذة الحسية العابرة، ولذلك تتكرر كلمة الحب والمحبة في شتى أغراضه الشعرية، فوطنه الإمارات هو وطن (المحبة) وهو يحب ممدوحه كالعاشق المفتون، ويقول في المدح:

تغلغل في صدري هواه موثقاً
مشاعر من لم يعرف الحقد
داخله
مشاعر إجلال وحب وغبطة
وفخر به نسمو فمن ذا يطاوله

*

على أن حب المرأة كما يبدو من غزله، ظلّ يدور في إطار الغزل العذري الموروث، فالرجل بحكم دوره الاجتماعي هذا والمرأة هي المطلوب، والرجل يسفح رجولته ويتذلل لنيل وصلها، ولا يعيبه ذلك، أما المرأة بحكم دورها الاجتماعي المقيد في بيئة محافظة فتقابله بالصدود، وتستمرئ عذابه، لأنها تخاف على سمعتها وسمعة أهلها وعشيرتها، ودينونة المجتمع لها، فالوسط الذي نشأ فيه الشاعر «جمال» لم يختلف عن الوسط الذي عاش فيه الشعراء القدامى في الصحراء، والشاعر يريد أن يخرق هذا التابو المفروض على المرأة والمحرّم بالنفاذ إلى قلبها من خلال غزل يضيق بهذه القيود التي تقيدها، فهو يشكو من سادية المرأة وسعادتها في تعذيب محبوبها، فملامح الغزل لدى الشاعر هي ذاتها ملامح الغزل العربي الموروث وبخاصة الغزل العفيف:

يا مالكاً رِقّي ولستَ بعبده
ارفقْ فإني منكم وإليكم

مالي بعثتُ إليكَ ألف رسالة
وبخلتَ حتى بالسلام عليكم

إن كان ظلماً أن تعذب مؤمناً
فلظلمُ تعذيب الأحبة أعظم

أو كان ذنباً أن أبوح بحبكم
فلذنب كتمان المحبة أحرم

ولئن يسرّك أن تراني ذاوياً
فلكم سررتُ بأن ثغرك يبسم

ارحم محبك واشفِ جرحي واسقني
من ماء وصلك، فالنوى لا يرحم

*

ويندر في غزل الشاعر أن تتكلم المرأة أو تفصح عن حبها باستثناء حوار قصير يدور بين الشاعر ومحبوبته من قصيدة بعنوان: (من أنتِ؟!) حيث يقيم الشاعر حواراً بينه وبين محبوبته، فيسألها عن نسبها ويفتخر أنه من قوم تغيب الشمس إذا أشرقوا، فتقول له المحبوبة:

فقالتْ وما تبغي بأصلي ومن أنا
وحبك أصل يا «جمال» قريب
تغلغل في جسمي غرامك واستوى
على عرش قلبي و الغرام يذيب

فقلت أجيبيني فقالت أنا التي
أسرتك في روحي وأنت مجيب
أصبتك حتى ضلَّ عقلك والهوى
إذا حلَّ في قلب فليس يثوب

لئن كنت من «ياس» فإني منهم
ولي حسب في الناسبين حسيب

*

ولا يخلو هذا الحوار من اصطناع مادام يعرف أن محبوبته من بلده وعشيره، كما أنه بعيد عن واقع المرأة العربية المحصنة التي تأبى أن تكاشف محبوبها بمشاعرها.

قد يتساءل سائل: ما الجديد الذي أدخله الشاعر «جمال» على فن الغزل مادام ينهل معانيه من معين شعراء الغزل الموروث؟... والجواب كما أرى، يظهر في تجديد الشاعر لصورة المشهد الغزلي، ومنحه طابعاً عصرياً رقيقاً يحفل بالمشاعر الرومانسية، وبخاصة رقة الألفاظ ورهافة الصور، لولا أنه كان مقتصداً في هذه الصور في غزله، لا يستخدمها إلاّ حين يلجأ إلى التخييل،

البقية ص٢٢

الأنوثة المنقذة في "رسالة الى سيدة" ليوسف سامي اليوسف

وفاء حمود

في أتون عالم أصيب بجنون المادة, يسطع ضوء الكلمة الفصل والأدب الرفيع, لينطق من صميم إنسان افترسه عصر وحشي, ومع ذلك يلبس هذا العصر لبوس الجمال والأناقة, من هذا الجو البائس يخرج علينا عمل إبداعي من أديب ناقد،نافذ البصيرة, يدخل لبّ الحياة ببصيرته من خلال قصة حب استثنائية تمزج الخيال بالواقع.

بدأت القصة مع رجل في ريعان الشباب يعيش حلم المرأة التي تفيض أنوثة وعذوبة،ليرافقه هذا الحلم حتى بلوغه السبعينيات من العمر, بالوهج نفسه والإيحاء ،مالئاً عليه الحياة لذة صوفية، تحوّل فيها الفراق لمكابدة حارقة وبالوقت نفسه ممتعة, إنها تجربة خارقة جعلت حياته تنبض أملاً وألماً, فهي تجربة موحية ملهمة تحيل خراب عالمه الذي لا عزاء فيه إلى عالم قابل للتحمّل بفضل طيف الحبيبة المتألق دائماً في ذهنه ، وتلك التي لم تستطع الأيام والسنون محوه، فهي الأنثى التي يختصر فيها الخير المطلق .

يدغم الكاتب العام بالخاص, في هذه القصة، فيشرّح واقع عصره في شتى المجالات، لإعادة الأمور لجادة الصواب، مؤكداً ضرورة العودة للمثل الأعلى، حتى نخرج من التصحر الروحي والتشيؤ، لذلك يناقش مع الحبيبة مفاهيم عدة، ومن أهمها مفهوم الحب، فيعريه مما وصل إليه في هذا العصر من سقم وابتذال، وحسابات ربح وخسارة، مما أبعد هذا المثل الأعلى عن قدسيته، فالحب عنده يُخرج كل الصدق والنقاء في الإنسان ليسمو به إلى أعلى الفضاءات الإنسانية, ويعيد الألق والشباب للمحب؛ فهو يخاطب الحبيبة قائلاً: «فيا كنزي العظيم، متى سوف تسمح الأيام بأن ألقي عليك نظرةً من شأنها أن تنعش روحي الذابلة الموهونة» ص57.

وقد ظهر كرهه لهذا العصر مبثوثاً في مجمل القصة, لقد حرمه من لبّ وجوده؛ ألا وهو الحب القيمة العليا، فيتضاءل كل ماعداه أمام قدسيته؛ إذ يحتاج هذا العصر إلى إعادة الاعتبار إلى جمال السريرة؛ حيث يقول : « يكون غياب الوسيم الذي من شأنه إذا حضر أن يزوّد الحياة بالفحوى والدلالة»ص36 .

إن هذا الحب يريده عذرياً، فالعذريون علموا البشرية الطهر ونقاء السريرة، على حدّ قوله، ولقنّوا البشرية درساً أن لذائذ الروح أعمق وأبهج من لذائذ الجسد، إن مشاعر الحب الحقيقي المنزه عن المصالح الآنية، كفيل بإخراج البشر من ظلمة قدرهم في هذا العصرالمتمثل بعبادة المادة، ومن ثم فإن افتقاده لحبيبة غائبة حاضرة, ولحب قديم جديد ما هو إلا بحث عن المثل الأعلى، الذي سيكون انطلاقاً نحو إنسانية الإنسان.

يبدو الكاتب موجوعًا بواقع الإنسان الحالي، فيتحرى حقيقته, ليس كمستهلك للأشياء أو رقم يتم التلاعب به من خلال مسميات عديدة، بل كروح لها خصوصيتها، تطمح نحو المثل الأعلى, ويبدو مقتنعاً بفكر المتصوفة في تعريفهم للإنسان على أنه «روح قبل كل شيء، ولأنه روح فهو الكائن الدنيوي الوحيد المركب من مادة وما يعلو فوقها في آن واحد، فإذا أُتخم جانبه المادي أُفقر جانبه الروحي، لهذا قالت الصوفية:»ماخُدم ظاهر إلا على حساب باطن» ص45

فهو يعدّ أن شيخ الصوفية ابن عربي استاذاً من غير تلاميذ، في هذا الزمن القاحل؛ لأن هذا العملاق يبدو كلامه غير مفهوم أمام سعار اقتناء الأشياء.

يحس المتلقي أن هذه القصة، فريدة في أدبنا العربي المعاصر تذكرنا بكتابات جبران خليل جبران، وتحررنا من طغيان الجنس ووصف المحسوسات التي بدأت تطغى على معظم نصوص السرد العربي المعاصر, وينقلنا إلى جمال ورقة الكلمة التي تحلق بنا فوق المألوف فهو يقول مثلاً: « كأنك تجسيد للقداسة، أو قبس صدر من روح عظمى»ص 131.

تتمتع هذه القصة بالإضافة إلى لغتها التي أجدها متميزة بجزالتها وعذوبتها بعمق معرفي، وغنى ثقافي؛ ففي معظم صفحاتها ينشر أفكاره ونظرته للحياة والكون والتربية، عسى أن يجد مخرجا لطغيان المادة والاستهلاك، من أجل خلاص الكائن البشري الذي يرزح حالياً تحت عبء التشيؤ والتصحر الداخلي, فهو يرى أن تكون تربية الفرد من خلال التركيز على تنمية قوة الحدس عنده، لذلك يرى أن الجاذب دوماً وثيق الصلة بالخيال والرؤيا، والأسطورة، حيث لا يتيسر استيعابهم إلا خلال برهة الحدس السرية . ص -168-167, فيكون، بالتالي، نتاج هذه التربية،هو النفور من الشر ومقاومته على كل الصعد، والالتزام بالجمال، مما يسمح لهؤلاء الأخيار بشن حرب على قبح انتشار السلاح والاستهلاك.

كما لاحظنا عناية الكاتب بأمثاله من البشر، الذين يعانون اغتراباً في مجتمعهم، في عالم ينفي ما هو أصيل من أجل ما هو خسيس, فيدعوهم إلى تلمس خلاصهم بقراءة الأدب الأصيل (شكسبير ودوستويفسكي) وغيرهما من أدباء عصر النهضة الأوربية، ويعلن نفوره الشديد من الثورة الصناعية في أوربا، لأنها أيقظت الجشع الأوربي للامتلاك على حساب الشعوب الأخرى، وكل القيم الأصيلة, كما يشنّ حرباً قاسية على الأدب المعاصر, فيعدّه منحطاً، لا يملك القدرة على فضح الاستلاب الذي يعانيه الإنسان الحالي من تسليع للمرأة مثلاً باسم تحررها الشكلي، وهذا دليل على إفلاس الفن واضمحلال الإنسان، كما يوحي بأن هناك خلاصاً آخر غير قابل للقراءة هو الحب الأخوي، البعيد عن المصالح، فيعدّه ملاذاً كفيلاً بالمساعدة على استساغة جحيم الواقع.

وقد رأى الكاتب ضرورة الفلسفة، التي تعتمد مبدأ المثنوية لتفسير الكون، وهو يعدّها السمة الأزلية للأشياء،» من اليسير الاعتقاد أنه لا نصر ولا هزيمة، بل صراع ديمومي خالد لا يحول ولا يزول، ولهذا كان لابد أن تهرس بعض الكائنات هرساً تحت آلة الحركة فهي إحدى نتائج التناقض والتضاد»ص143.

أعتقد أن هذا العمل سيصيب وتراً حساساً عند المتلقي، فرغم كل الإنجازات العلمية التي نعتز بها كبشر, إلا أنه كل يوم يتأكد لنا أن ثمة ضياعًا لما هو أصيل لمصلحة ماهو تافه, وتاريخ البشر حالياً يشهد على ذلك، فباسم الشعارات البراقة ما تزال الدماء تنزف، لاسيما في منطقتنا التي دفعت ثمن همجية القوة, وبالتالي تم تكريس مقولة الحق للقوة، ولا أدل على ذلك مما حدث في النكبة في القرن الماضي, التي عايشها الكاتب كونه فلسطينيًا بكل إجرامها وقسوتها، ودفع الثمن تشريداً وقهراً مازال مستمراً حتى هذه اللحظة.

أما قوة الحق فهي غير قادرة على الثبات أمام احتكار كل المنظمات الدولية من قبل قوىً غاشمة لا تعترف إلا بالمصالح, وفيما يتعلق بشعار الحرية البراق الذي سُلّع أيضاً، فيسلط عليه الضوء قائلاً عنه: «الإنسان الغربي الذي أطلق شعار الحرية... الأجوف ليس إلا عبداً للمصارف أو لدهاقنة المال ... فلقد خدّروه بحفنة الحرية حتى ما عاد يدري كيف تكون الحرية الناجية من كل زيف «ص215

وفي المجمل فإن هذه القصة، أجدها تعلي من قيمة الأنوثة التي يعول عليها فعلاً، كما يؤمن معظم الصوفيين في إنقاذ البشرية, لأنها نبع العطاء والجمال والحب والسلام, الأنوثة التي مجدها الصوفيون، وأجد أن بعض الروائيين المعاصرين أيضًا قد ركزوا عليها في أعمالهم كرواية باولو كويلو «ألف»، ويوسف زيدان في روايته «عزازيل» وبهاء طاهر في روايته «واحة الغروب» . من هنايطرح سؤال ماذا سيحصل لو لو حكمت الأنوثة العالم ؟ أعتقد أن جنة الله ستكون في الأرض قبل السماء, لذلك ركز أديبنا على روح الحياة الأنوثة .

أخيرًا عايشنا في هذه القصة عصارة ثقافة وخبرة عمر، بغض النظر عن اختلافنا مع أفكارها أو اتفاقنا معها, لذلك أدعو إلى قراءتها ففيها المتعة والفائدة.

*يوسف سامي اليوسف «رسالة إلى سيدة» وزارة الثقافة، الهيئة العامة للكتاب، آفاق ثقافية (107) دمشق، 2012

رسالة إلى سيدة

عبد الستار إسماعيل

قد يعتقد من يقتني هذا الكتاب وللوهلة الأولى أنه كتاب غرام ووجد وهيام كما يدل عليه عنوانه، أو أخذاً بالمثل الشائع والقائل « المكتوب بائنٌ من عنوانه « لا أكثر ولا أقل. ولكن الحقيقة غير ذلك. فالشق أو الجانب العاطفي في الرسالة قد جاء محمولاً على مركب ثقافي أبحر في عباب كل من الفكر والفلسفة والتصوف والأدب والسياسة والمجتمع..رغم أن من يتصفح الكتاب يدرك مدى العاطفة الجياشة التي اشتغل عليها المؤلف كعنصر أساسي ورئيسي في بناء نصه الأدبي.

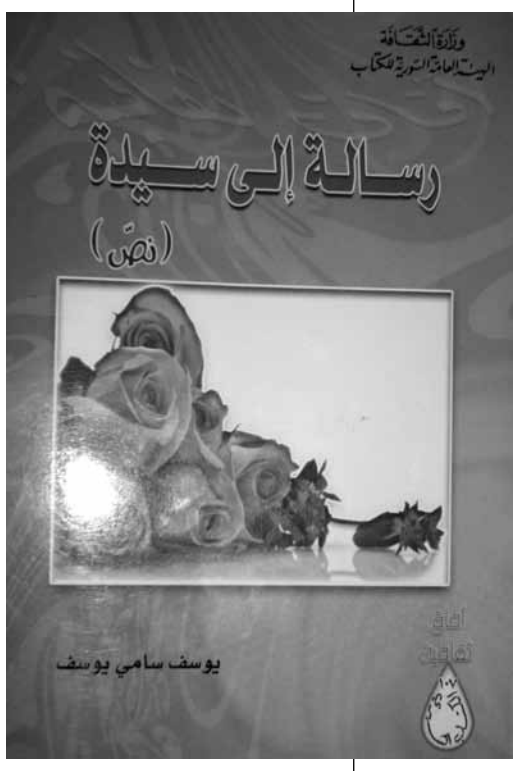

- رسالة إلى سيدة - كتاب صدر حديثاًعن الهيئة العامة السورية للكتاب للناقد الفلسطيني يوسف سامي اليوسف، ضمن 222 صفحة من القطع الصغير.

فيوجه المؤلف هذه الرسالة إلى صورة المرأة الكلية أو التجريدية، أكثر مما يوجهها إلى امرأة معينة أو محددة الهوية، عندما تتوجه إلى كنه الأنوثة أو الجوهر النسوي بوصفه تجريداً شاملاً لجميع النساء...

ومن جهة أخرى يتوخى من هذه الرسالة أن يخرج بنص أدبي يتمتع ببعض المزايا الجمالية التي قد تجعله صالحاً لإنتاج المتعة الأدبية أو الفنية.. لتتشابه هذه الرسالة إلى حد ما مع الرواية والقصيدة. كما أنها تعكس بشكل أو بآخر رؤيته النقدية لتساهم في تجاوز الضعف الذي راح يعتور الأدب العربي خلال الطور التاريخي الراهن كما زعم.

فما يؤكد الطابع الأدبي لهذه الرسالة أنها تضفي على المرأة التي يتوجه إليها الخطاب بعضاً من السمات الصوفية. حينما تصوغ صورة لامرأة شديدة الشبه بصورة المرأة التي صاغها ابن الفارض في شعره في « التائية الكبرى «، كما تشبه صورة المرأة التي رسمها ابن عربي في بعض قصائده، وكذلك في بعض نثره في « الفتوحات المكية « حينما يقول (وألطف ما في الحب أن تجد عشقاً مفرطاً يعتلج في نفسك، ولا تدري في من، ولا يتعين لك محبوبك، وبهذه الصفة فإن النفس تجهل حالها، ولا تدري بمن هامت، ولا في من هامت، ولا ما هيمها). ويعيد سبب تأثره بابن الفارض بأن ذلك الشاعر واحد من أهم الشعراء الذين أنجبتهم الثقافة العربية كما يفصح، وأنه يصلح للإسهام في تربية الجنس البشري، إلى جانب دانتي وشكسبير. ويجد أنه قد أثر في شاعر ايطاليا الأكبركما أن ذلك الايطالي قد أثر في وريثه الانجليزي. وهذه الحقيقة لم ينتبه إليها أي من الذين درسوا تراث دانتي. ففي الحق أن بياترس، بطلة الفردوس، هي صورة استهلها الشاعر من جوف الصوفية العربية ولا سيما من « التائية الكبرى «....لكن سيلاحظ وجود شيء من التشابه ما بين أسلوب الكاتب وأسلوب المنفلوطي المفعم بالرومانسية والعذرية والعبارات الملونة بالألم وعذاب العشق...فمن يقرأ العبارات والفضيلة وماجدولين مثلاً يلمس مدى ذلك التشابه أو التناغم ما بين الأسلوبين...

أما المادة الخام التي استخدمها الكاتب في إنتاج هذا النص فتتمثل في انه وقبل نصف قرن كان المؤلف قد أحب فتاة حباً عذرياً صادقاً، وعايشها فترة ليست بالقصيرة، وتزوجت تلك الفتاة ورحلت إلى البعيد.. فكانت تلك التجربة هي الهيكل العظمي لهذه الرسالة التي يتدخل فيها الخيال كثيراً ويقربها إلى الواقع قليلاً...فمثلاً يسترسل المؤلف في الفصل العاشر من الكتاب « السلام! ذلك مكان لم يدلف إليه أحد، لم يلجه أي امرئ قط، ومع هذا، فإنني ما أتخيل صورتك محاطة بهالة من السلام ألوانها تشبه ألوان قوس قزح. وكثيراً ما تخيلتك هادئة مستقرة تتسربلين بسكينة لا ينالها إلا الأبرار في عليين. وخلال تلك البرهة الوجيزة أشعر بأنني راض عن نفسي تمام الرضا،لا لأنني تخيلت تلك الأخيولة العذراء، بل لأنني عشقت امرأة مثالية لها هذه المكانة، أو هذه الدرجة الرفيعة...» ص - 111

وكانت الذاكرة إحدى العناصر التي ساهمت في إنتاج النص عندما تعذبه لوعة الحنين إلى وطنه، فلسطين، فيقول: « وأذكر أنني أخبرتك في سالف الزمان أن لوبيا الجليلة،التي مر بها السيد المسيح كثيرًا، هي

البقية ص٢٢

الغُرَابُ في الشِّعْرِ العَرَبِيِّ..نَذِيرُ شُؤْمٍ أمْ بَشِيْرُ خَيْرٍ ؟!

مصطفى قاسم عباس

كلما رأينا شاعراً أضناه الهجرُ , وأثقله البينُ , و أدنفَهُ جوىً يُذيب منه الحشا , ويفجر في صدره بركانَ شوقٍ يُمزِّقُ ضلوعَهُ...

وكلما حكمت الأقدار على شاعرٍ بفراق مُحب أو وداعِ ركبٍ علّقوا عند رحيلهم في الركب فؤادَه , فازداد انهمارُ الدموع ونحيبُ الأكباد ...فإن الشاعر يرى أن السببَ في ذلك هو الغراب...

وإن المتأمّلَ في أشعار العرب , وأسفار البلاغة والأدب ,كثيراً ما يرى أن الشاعر يُلقي باللوم على غراب البَيْن , فيُكثِرُ من تقريعه وذمِّه,وكأن الغرابَ بيده مفاتيحُ الشقاء والتجافي, أو هو مطيَّةُ التَّعاسة , ومركِبُ للبائسين... مع أن ذلك الغرابَ مسكينٌ لا يملك حولاً ولا قوةً , ولا يملك نفعاً ولا ضراً ولا هجراً ولا لقاءً....

و عندما يكون الشاعرُ متشائماً تسيطر عليه حالةٌ من السوداويةِ والكآبة نراهُ يتفنَّنُ في توبيخ الغراب , ويمطر عليه وابلاً من سحاب اللوم وغيثِ التقريع الذي قد يصل أحياناً إلى السّباب والشتائم , بل ربّما تعدا ذلك إلى القتل والفناء...

...ويبقى السؤال : ما ذنبُ الغراب حتى يُسمى غرابَ البين ؟ وأيةَ جنايةٍ ارتكبَ حتى يضافَ اسْمُهُ إلى الهجر والقطيعة والبعد والفراق...؟! وهل يستطيع الغراب أن يصل ما شاءت الأقدارُ أن يُقطع , أو أن يقطع ما شاءت الأقدارُ أن يُوصَل ؟...

...وإذا كانت العربُ تتشاءم بكثيرٍ من الأشياء , وترى فيها النحسَ وسوءَ الطالع, فلماذا كان الغرابُ في طليعة ما يَتشاءَمُ به الشعراءُ في أشعارهم ؟ ! وهل - يا تُرى - سنرى في تراثنا الأدبي أن أحداً من الشعراء تفاءل بمرأى الغراب وطرب لنعيقه ورأى فيه بشيراً ورمزَ سعادة وهناء ؟!

تلك أسئلةٌ كثيرةٌ , والإجابات عنها تطول , ولكن باختصار أقول :

لقد حاول كثيرٌ من الأدباء والمفكرين تعليلَ إلصاق البين والنحس والتشاؤم بالغراب , ولَهُم في ذلك آراءٌ شتّى , ولكلٍّ وِجْهةٌ هو مُوَلِّيها :

فمنهم من قال :

((الغرابُ أكثر من جميع ما يُتطيَّرُ به في باب الشؤم، ألا تراهم كلما ذكروا مـمَّا يتطيرون منه شيئاً ذكـروا الغرابَ معه , وقد يذكرون الغرابَ ولا يذكرون غيرَه...

... ثم إذا ذكـروا كلَّ واحـدٍ من هذا الباب لا يمكنهم أنْ يتطيروا منه إلاّ من وجهٍ واحد، والغرابُ كثيرُ المعاني في هذا الباب، فهو المقدَّم في الشؤم، ..)) (1)

ومنهم من حاول أن يُعلِّل ذلك نثراً وشعراً , جاعلاً لكل مسمًّىً من اسمه نصيباً , فجعل الغرابَ من الاغتراب , والبينَ من البانة والبينونة و البعد والنوى , لذلك نرى أن من أصحاب هذا الرأي من يقول :

((وإنما لزمه [أي الغراب] هذا الاسمُ لأن الغراب إذا بـانَ أهـلُ الـدار للنُّجْعَة، وقـعَ في مرابض بيوتهم يلتمس ويتقَمَّم، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه ؛ إذْ كان لا يعتري منازلَهم إلا إذا بانوا، فسمَّوه غرابَ البين.))

قال الشاعر:

وصاح غرابٌ فوق أعوادِ بـانةٍ
بأخبـار أحـبابي فقسَّمني الفكْرُ
فقلتُ غُرابٌ باغتراب وبـانـةٌ
تُبيـن النوى تلك العِيافةُ والزَّجر
وهبت جنوبٌ باجتنابيَ منهُـمُ
وهاجت صَبا قلتُ الصبابةُ والهجرُ(2)

وقريباً مـن ذلـك التعليل , مـا علل به السَّمهريُّ عندما رأى غراباً على بانةٍ ينتفُ ريشه، فلم يجد في البان إلاّ البينونةَ، ووجد في الغراب جميع معاني المكروه، فقال:

رأيتُ غراباً واقـعـاً فوق بانةٍ
يُنتِّـف أعـلى ريـشهِ ويُطايـرُهْ
فقلت ولـو أنـي أشاءُ زَجَرتُه
بنفسيَ للنهديِّ: هل أنـت زاجرُه ؟
فقال: غرابٌ باغترابٍ من النَّوى
وبالبـان بَيـنٌ من حبيبٍ تعاشرُه
فذكر الغرابَ بأكثرَ ممَّا ذُكر به غيرُه، ثمَّ ذكرَ بعدُ شأنَ الريش وتطايره.(3)

....في حين نرى أن بعض المفكرين الأدباءِ قد جعل غرابَ البين نوعين ,- فهو في زعمه ليس غراباً واحداً - كما فعل الجاحظ عندما قال :

((وغرابُ البين نوعان:

أحدهـمـا : غربانٌ صغارٌ معروفةٌ بالضَّعف واللُّؤم، والآخـر : كُـلُّ غـرابٍ يُتَشاءَم به.)).

وأضـاف الجاحظُ إليها أيضاً غـرابَ الليل الذي يشبه البومَ , والذي قال عنه :

((ومن الـغِـربان غرابُ الليـل، وهو الذي ترك أخلاقَ الـغـربـان , وتشبَّه بأخلاق البوم)) .(4)

...ولعلَ لونَ الغراب الشاحبَ , واتّشاحَه بالسّواد من أهم الأسباب التي جعلته يتجلبَبُ بالتشاؤم , ويتدثَّر بالنحْس , ولعل لونَه الكالحَ أيضاً هو الـذي جعله جديراً بلوعات الفراق، وتباريح النوى ...

ونحن عندما نتأمَّل في التذكرة الحمدونية نرى أن هناك شاعرةً - ولها قصةٌ في الكتاب مع ثلاثٍ من أخواتها وكيف قامت كلُّ واحدة منهن بقتل غراب بعد تعذيبه - تطلبُ من غراب البين أن يُبِينَ ويفصحَ عما يقوله حين يطير ,وكذلك عمّا يقوله حين يقَعُ على الأرض, وتُشبّه حالتَها بحالته... فهي مطرودةٌ ولا ناصرَ لها مِمَّن ظلمَها , والغرابُ كذلك مطرود ولا ناصرَ له ولا معينَ , فها هي تقول :

ألا يا غُرابَ البـينِ لونُك شاحبٌ
وأَنْـتَ بلَـوْعاتِ الفِراق جَديرُ
فبيِّن لنـا مـا قُلْتَ إذ أَنْتَ واقعٌ
وبَيِّـنْ لـنا ما قُلْتَ حين تطيرُ
فـإن يكُ حقّاً ما تقولُ فأَصبَحَتْ
هُمـومُك شَتَّى والجناح قَصيرُ
ولا زِلْـتَ مطروداً عديماً لناصرٍ
كما ليـس لي من ظالميّ نصيرُ (5)

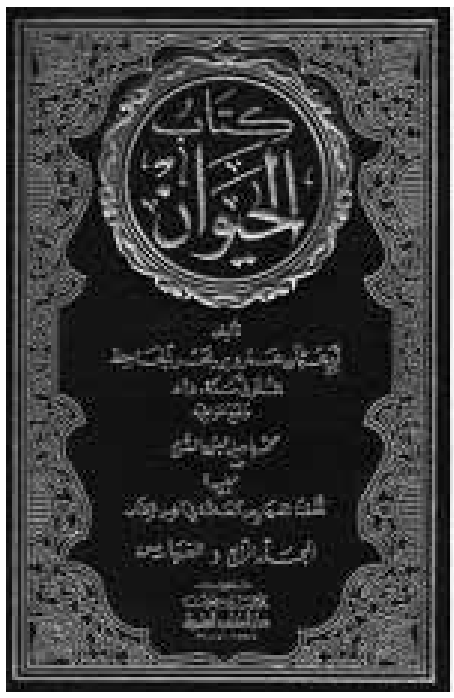

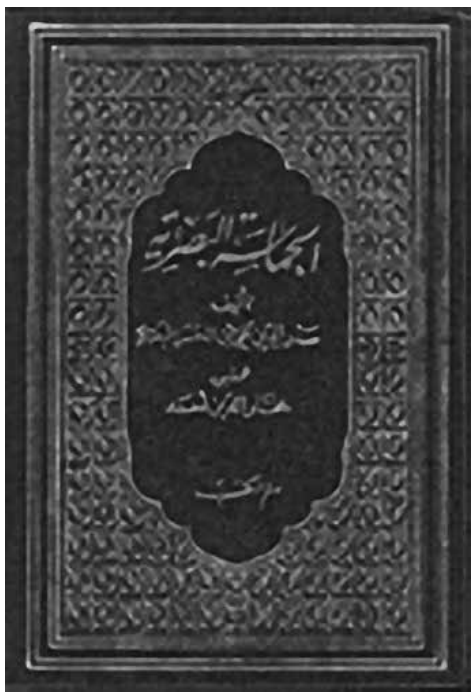

وبعض الشعراءِ كان يتشاءم من الغراب إذا طار عن شماله , فمجرَّدُ رؤية الغراب تُشعره بالتشاؤم , فما بالكَ إذا طار الغراب عن شِمال الشخص ؟!

فهذا الشاعر قيسُ بن ذريح نراه متشاءماً من الغراب بكل أحواله , فكيف به وقد رآه يطير عن شماله كلما ذَكر لُبنى ؟ !, سنرى في أبياته أنه يدعو عليه بأن تُشَلَّ رجلاه , وأن يضعُفَ جناحاهُ عن الطيران , فها هو يقول في وصف ذلك المشهد :

أَلاَ يا غُرابَ البَيْـنِ مـالَكَ كُلَّمـا
تَذَكَّرْتُ لُبنَى طِرْتَ لي عن شِماليـا ؟
أعندَكَ عِلْمُ الغَيْبِ، أمْ أنتَ مُخْبِـرِي
عـن الحَيِّ إلاّ بالذي قـد بَـدا لِيا؟
فلا حَمَلَتْ رِجلاكَ عُشّـا لِبَيْـضَـةٍ
ولا زالَ عَظْمٌ مِن جَناحَـيكَ واهِيـا(6)

ولأجل ذلك ((كانت محبوبتُه لُبنى قد نذرت ألا تقدر على غرابٍ إلا قتلتْه، وذلك لطِيَرَةِ قيسٍ منهن ، ولقوله أيضاً:

أَلا يا غُرابَ البَيْنِ ويْحَكَ نَبِّنِي
بِعِلْمِكَ في لُبْنَى، وأَنْتَ خَبيرُ
فإنْ أَنْتَ لم تُخْبِرْ بشَيءٍ عَلِمْتَه
فلا طِرْتَ إلاَّ والجَناحُ كَسِيرُ
ودُرْتَ بأَعْدَاءٍ حَبِيبُكَ فيهمُ
كما قد تُراني بالحَبيبِ أَدورُ (7)

والأمـر عند لبنى لم يقتصر على الدعاء على الغراب فحسبُ كما فعل قيسٌ , بل إنها نَذَرت أن تقتله كلما قدرت عليه , ووفت بنذرها , بل وبالغت في الوفاء به إلى درجة التشفّي والانتقام ,وكـأن الغرابَ هو سببُ تعاستها وصارمُ حبلِ وصالها...

فقد روي ((أن لبنى أمـرت غلاماً لها فاشترى لها أربعةَ غربان، فلما رأتهن بكت وصرخت، وكتَّفتْهن، وجعلت تضربهن بالسوط حتى مِتْنَ جميعاً، وجعلت تقول بأعلى صوتها:

لقـد نـادى الغُرَابُ بيَـين لُبنـى
فطـارَ القَلبُ من حَذَرِ الغُرَابِ
فَقُلْتُ: غَـداً تَبـاعَـدُ دارُ لُـبنى
وَتَنْـأَى بَعـدَ وُدٍّ واقـتِرَابِ
فَقُلْتُ: تَعِستَ وَيحَـكَ مـن غُرَابٍ
أَكُلَّ الدهرِ سَعْيُكَ في تَبـابِ؟
لقَد أُولِعـتَ، لا لاقَيتَ خَـيـراً،
بِتَفرِيـقِ المـحِبِّ عن الحِبَابِ))(8)

ولم يقتصر الأمر على قيس ولبنى , بل كان لكُثَيِّرٍ عزّةَ أيضاً نصيبٌ من الحزن والألم , وذلك عندما صاح غرابُ البين مؤذناً بالفراق والرحيل , فقد ذكروا ((أن كُثيّراً عندما استنشده ابنُ أبي عتيق أنشدَ:

أبائنةٌ سُعدى؟ نعـم ستبينُ،
كما انبتَّ من حبل القرين قرينُ
أأَنْ زُمّ أجمالٌ، وفارقَ جيرةٌ،
وصاح غُراب البين أنت حزينُ ؟ (9)

إلا أن بعض الشعراء كان مُنصفاً في الحكم , ونصَّب نفسه قاضياً للدفاع عن الغراب , فأخذ يتساءل :

عـلام الشتمُ ينهلُّ على غـراب البين , والمحبُّ هو الذي فارق حبيبه , ولم يأمره الغراب بذلك ؟! وأكثر من طرح الأسئلة التي تبحث عن مجيب....

....وهـذا القاضي الـمنصـفُ لم يـجعلِ الذنبَ في الفراق والبعد على الغراب , فالغراب لا ذنب له , وهو لم يلقِ كلامه جزافاً , بل أتى بالأدلة المنطقية على دعواه , وذلك كما فعل الشاعرُ أحمد بن مَيَّة - وهو أحد الظرفاء – عندما قال :

يسبُّ غـرابَ البـين ظلـماً معاشرٌ
وهم آثروا بُعدَ الحبيب على القرْبِ
وما لغرابِ البيـن ذنبٌ فأبتـدي
بسـبِّ غـرابِ البَين , لكنه ذنبي
فيا شوقُ لا تنفَدْ, ويا دمعُ فِضْ وزِدْ

ويا حبُّ راوِح بين جنبٍ إلى جنب
ويا عاذلي لُمْني , ويا عـائدي الْحُنبِ
عصيـتُـكما حتى أُغَيَّبَ في التُّرْبِ
إذا كان ربي عالـماً بسريـرتي

فما النـاس في عيني بأعظمَ من ربي (10)

والمتأمل في الشعر العربي يرى أن التشاؤم لم يقتصر عند الشعراء على الغراب فقط , فهناك من تشاءم بالبوم , وهناك من تشاءم بالأفعى , ومنهم من تشاءم بالنُّوق بل و أخذ أيضاً يدافع عن الغراب , فالنوق - كما يزعم - هي التي تحملُ الأحبةَ وتُغَيّب هوادجَهم في القفار والصحارى ,فهي إذن مَن يشتّت شملهم, ويفرّق جمعهم , لذلك نرى أن شاعرنا يُغَلّط الذين يلومون الغرابَ ونعيقَه , وما لومهم له إلا بسبب جهلهم , فإن الذنب الحقيقيَّ للجمال وليس للغراب , وذلك عندما قال:

غلط الذين رأيتُهم بـجـهالـةٍ
يلـحَـونَ كلُّهُمُ غراباً ينـعِقُ
ما الذنبُ إلا للجِمال فـإنـها
مـمّـا يُشتّت شملَهم ويفرّق
إن الغراب بيُمْنه يُدني الـنّـوى
وتُشتت الشملَ الجميعَ الأنْيُقُ (11)

وكذلك فعل أبو منصور ظافرُ بن القاسم عندما نأى أحبابُه , وسحّت دموعُه حتى كاد أن يَغرقَ فيها , حيث لم يجعل اللومَ الحقيقيَّ على الغراب , بل جعل اللومَ على البين ومَن ساعد عليه كالنّياق والمطايا , لأن النياقَ والمطايا والمراكبَ هي التي أبعدت عنه الأحباب , وسرت بهم تَمخُر عُباب البيداء , وتشق طريقها موغلةً في غياهِب الرمال :

نَأَوْا فالأسى يُجْري غُروبَ مدامعي
على الخدِّ حتى كدتُ فيه أغوصُ
أَلومُ غُرابَ البَيْـنِ عـند فـراقهم
ومـا البينُ إلا مَرْكَبٌ وقَلُوص (12)

ونحن عندما تأمّلنا معاً وغُصنا في لُجج الأدب العربي رأينا أن كثيراً من الشعراء قد ربط بين الغراب وبين التشاؤم والطِّيَرة , وخاصةً في العصر الجاهلي, ولعل ذلك يعود إلى كثير من المعتقدات الجاهلية التي كانوا عليها , حيث كانوا يتشاءمون من الهامَة , ومن شهر صفرَ ومن الطِّيَرة, ثم أتى الإسلام فبدّدها , وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا عدوى ولا طيرةَ ولا هامَةَ ولا صفر) (13)

ويبقى الغرابُ عند بعض الشعراء وبعض الناس نذيرَ شؤمٍ كالبوم يُنَبّئُ بالخراب , ومَن يدري ؟ فربما يدفع الغلوُّ في هذا الأمر , والإيغالُ في التشاؤم من الغراب بناقدٍ يُطِلُّ علينا ليقولَ لنا :

إن ذِكرَ الغراب في داليّة النابغة الشهيرةِ هو الذي جعل فيها عيباً من عيوب القوافي [وهو الإقواء] , لذلك كانت القصيدة كلُّها تسير على نمط عذبٍ متسلسلٍ , بِرَويٍّ مكسورٍ ومطلعها :

أمِنَ آلِ ميَّةَ رائحٌ أو مُغتدِي عَجلانَ، ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ؟

حتى إذا ما ذَكَرَ الشاعرُ غرابَ الشؤم حصل معه الإقواء , فأتى البيتُ كالتالي :

زَعم البوارح أن رحلتنا غداً
وبذاك خبَّرنا الغرابُ الأسودُ (14)

فكان هناك خللٌ في موسيقا البيت مَجّتْه الآذان, ونفرت منه النفوس....

طبعاً نقول من يدري ؟ فلعل ناقداً يقولُ ذلك !!

وقبل أن نختم هذا المقالَ , علينا أن نذكُرَ أيضاً أن بعض الشعراء رأوا في الغراب فألاً حسناً , ومبشراً بخيرٍ لا نذيرَ شؤم , وأوردوا أمثلةً على ذلك , ومنها ما قاله الجاحظ حيث تحدث عن دفاع صاحب الغراب عن الغراب فقال :

((قال صاحبُ الغراب: الغرابُ وغير الغراب في ذلك سواءٌ[أي في الشؤم]، والأعرابيُّ إن شاء اشتقَّ من الكلمة، وتَوهَّمَ فيها الخيرَ، وإن شاء اشتقَّ منها الشرّ،وكلُّ كلمة تحتملُ وجوهاً.

ولذلك قال الشاعرُ ابنُ قيس الرُّقيَّات:

بَشَّر الظَّبيُ والغُرابُ بُسعْدى
مرحباً بالذي يقول الغرابُ)) (15)

وختاما :كثيراً ما يُبدع الشعراء ويأتون بصورٍ جميلة ذُكر فيها الغرابُ وسوادُه , حتى وإن كانت في الهجاء , فنحن ننظر إلى الصورة فنراها في غاية الجمال والطرافة . والأمثلة كثيرة في هذا المجال , ومنها ما قالهُ الشاعرُ العباسُ بنُ يزيد الكنديُّ :

لو اطَّلع الغُراب على تَمِيمٍ
وما فيها من السَّوْءَاتِ شَابَا (16)

والذي يتبيَّن في نهاية المطاف - طبعاً وهذا الرأي لا ينتطحُ فيه عنزان , ولا يتمارى فيه اثنان - أن الغراب مظلومٌ في إلصاق الشؤم به , والتطيرِ منه , وما هي إلا معتقداتٌ جاهليةٌ - كما أسلفنا - وهي معتقداتٌ سادت ثم بادت , وأصبحت من الماضي , فكلنا نعلم أن ما قدره الله كائن لا محالة ,وسواءٌ أشاءَ الغرابُ ذلك أم أبى ؟!!

---

(1) - الحيوان الجاحظ جـ :1 ص :283
(2) - مجمع الأمثال الميداني جـ :باب : أشأم من غراب البين ص :168
(3) - الحيوان الجاحظ جـ :1 ص : 283
(4) - الحيوان الجاحظ جـ :1 ص : 184
(5) - انظر القصة والأشعار كاملة في التذكرة الحمدونية , ابن حمدون جـ :3 ص : 84 وانظر : : الأمالي , أبو علي القالي جـ :1 ص 87:
(6) - الحماسة البصرية أبو الحسن البصري جـ :1 ص :148
(7) - الشعر والشعراء , ابن قتيبة الدينوري جـ : 1ص :136
(8) - مصارع العشاق , السرّاج القارئ جـ : 1 ص : 47
(9) - الموشى , الوشاء جـ :1 ص :47
(10) - الجليس الصالح والأنيس الناصح , المعافى بن زكريا جـ :1 ص :165
(11) - المحاسن والأضداد , الجاحظ جـ : 1 ص : 20
(12) - خريدة القصر وجريدة العصر , العماد الأصبهاني جـ 2 ص :307
(13) - رواه البخاري
(14) - انظر ما قيل عن الإقواء في طبقات فحول الشعراء , ابن سلام الجمحي , جـ : 1 ص:10 , وانظر: الزهرة , ابن داود الأصبهاني جـ :1 ص : 235
(15) - الحيوان الجاحظ جـ :1 ص :283 - 284
(16) - ربيع الأبرار , الزمخشري جـ :1 ص :170

راتب سكر

عقدة الحاجبين !

يعاني نبيل من سوء تكيف قديم, في علاقاته المهنية والاجتماعية, حاول معالجته بأنماط متنوعة من السلوك اليومي المعتمد على مهارات من ردات الأفعال المتلاحقة في تبدلاتها وتغيّراتها, غير أنه لم يفلح في مسعاه, وراحت أمواج الحياة العالية, تتقاذفه من لجة إلى لجة, حتى كادت عبارة (إني أغرق!), تصبح نشيده اليومي. كان يسمعها صادحة على شفاه كثيرة, من حين إلى حين, تلك العبارة التي كتبها, في سياق مختلف, ذات اليوم, الشاعر نزار قباني, وغدت شهيرة بفضل صوت العندليب الأسمر عبد الحليم حافظ, فيظنها لسان أحوال تشبه حاله, مما يهدئ من روعه قليلاً, مطمئناً قلقه , بتشابهه الموهوم مع كثيرين على دروب الحياة.

لم يمنح الله وجه نبيل إشراقة الابتسامة التي تسهل له الطريق إلى قلوب زملائه, الذين ظلوا طوال مرحلة الطفولة والمراهقة يلقبونه بعاقد الحاجبين. لم يكن لقبه يسبب له حرجاً في البداية, إذ كان يضحك في سره, عندما يوازنه بألقاب بعض زملائه وأصحابه, فيراه مبعثاً للاعتزاز والفخر, غير أن منافسيه المتلاحقين في أروقة الوظائف التي تنقّل على عرباتها, راحوا يستخدمون دلالات لقبه النفسية, ويدرجونها ضمن ملفات حججهم وبراهينهم لإقصائه من طرقهم إلى الترقي الوظيفي والإداري, معتمدين على أهمية معيار الإقصاء في التنافس الوظيفي والاجتماعي.

مضى زمن طويل على تنقّله المتنوع على مدارج الوظيفة والحياة, التقى فيه بعدد غير قليل من الزملاء والأصدقاء الجدد, من دون أن يعلم السر في اكتشافهم لقبه القديم, كل مرة, وقد ظل طويلاً يظن أن واحداً من الزملاء القدامى يترصد خطواته, ويخبر أصحاب الأمكنة الجديدة التي يحلّ فيها بأنه عاقد الحاجبين.

كان شعوره بوجود من يترصده, يزيد من حدة ارتباكه مسببا له قلقاً عميقاً, وقد تورط مرة فدفع مبلغاً من المال لساحر ادعى أنه قادر على فك رصد المترصد, وإبداله دعاء باليسر والدعاية الحميدة. لا يعرف إذا كانت حاله الجديدة في الوظيفة التي انتقل إليها في العام الماضي, قد تحققت بفعل ذلك الساحر, فهو يميل غالبًا إلى تفسير الحياة بالعلم وقوانينه, مقلّلاً من تأثير السحرة في سلوك الناس، وأعمالهم في أروقة مؤسساتهم ودوائرهم.

في الوظيفة الجديدة صار يضحك ضحكات مميزة, برنين صوتها العالي, بعد كل حوار مع المشرفين على مفاصل العمل, ويزداد رنين ضحكته علواً في اجتماعات العمل الطويلة التي يعقدها أولئك المشرفون, إذ يشعر أن وقارهم مصطنع وأنهم غير جادين في تنفيذ الشعارات التي يرفعونها, والخطط التي يرسمونها, فيقابل التناقض بين أفعالهم وأقوالهم بضحكات مبهمة الدلالات والمعاني, مما جعل المشرفين على مفاصل العمل يعيرونه بمعايب شتى, ويصفونه بصفات تنال من قيمة مرتبته العلمية والإدارية في الوظيفة, فمن قائل إنه ساخر غير جدي, إلى قائل إنه عبثي لا يقيم وزناً لخطط العمل وشعارات الوظيفة, إلى قائل بأنه لا يعرف من الحياة, التي تحتاج إلى الجد الكبير, غير الضحك واللعب...

صارت تهمة السخرية والعبثية تقض مضجعه وتعكر صفو أحلامه, فيتمنى لو يسترد القدرة على التخلص من ضحكاته ليعود عاقد الحاجبين من جديد.. وفي زحمة تمنياته, راح يركب الجمل المفيدة من عبارات الأصدقاء والخصوم, فوجد أن كلمات: ضحك ولعب وجد , ناقصة كلمة مفقودة, لابدَّ منها كي تكون الجمل مفيدة, والحياة ثرية بمعانيها.

(زغرودة لموت الدومري)
بين اللعبة السردية وتطور الشخصية

ماجد أبو ماضي

إنها الرواية الثالثة والعمل الأدبي الخامس ضمن روايات ومجموعات قصصية للروائي القاص جميل شقير، تحدثت عن أحداث جرت في حقبة زمنية امتدت بعيد مجاز صبرا وشاتيلا ومرورًا بعدوان تموز2006، وصولاً إلى أحداث مخيم نهر البارد، لقد حملت هذه الرواية عنوان(زغرودة لموت الدومري) وهو يتضمن مفارقات من خلال العلاقات اللغوية التي ربطت بين مفرداته، فقد أوضحت هذه الكلمات تباينًا في معاني تلك العلاقات؛ فهي كلمات متجاوزة للمكان متباينة في المعنى؛ الأمر الذي يجعل القارئ يفكر مليًا في ما وراء هذا العنوان محاولاً إيجاد معنى يربطها وخيطًا يجمعها.. فالزغرودة هي ترديد صوت الإنسان باللسان في الفم عند الفرح، فهي دليل على السرور والسعادة، وقد رددت الزغرودة هنا من أجل ماذا؟ تأتي اللام المتصلة بالكلمة الثانية لتبين توجه الزغرودة، وتبين أنها موجهة من أجل الموت الذي يعني مفارقة الحياة، لكن لمن هذا الموت؟ إنه للدومري، لذاك الإنسان الذي يقضي ليله بالسهر والتفكير، وهو دائم الهموم والمتاعب، فيتساءل المرء: هل من المعقول أن نعبر عن موت ذاك الإنسان بإطلاق الزغرودة والفرح لهذا الموت إلا إذا كان هذا الإنسان عظيما؛ وقوة ما أتى به من أفعال وسلوكيات تركت بصمة في الحياة وخلدت ذكره واسمه وأصبح قدوة في المجتمع...؟!

***السرد اللغوي:**

لقد بدأ السرد في هذه الرواية بالدخول في الموضوع مباشرة، وتحديد المكان والبدء بالحدث الذي أدى بزمرد(بطلة الرواية) إلى هذا المكان من دون تهيئة، والشعور بأن هناك إقحامًا للحدث من دون تمهيد، والزج بالعديد من الأحداث والشخصيات في الورقتين الأولى والثانية، فنجد الشخصيات: زمرد- الأم- النزيلات-مطاوع- الطبيب- السجان- خالد- رجا العلان- الدكتور حسان.

أما الأحداث التي حشرت في هاتين الورقتين فقط: انهيار زمرد بعد أن وضعت يديها على الشبك، تذكرها الأحداث السابقة لخطيبها مطاوع وحرمانها من الامتحان لمدة ثلاث سنوات بسبب الغش، خيانة خطيبها مع أمها، ثم التآخي مع خالد، ثم غيابه بعد خطوبتها، مواقف النزيلات عندما يقف الطبيب أمام باب المهجع؛ فالأولى تضحك بشكل صاخب، والأخرى تنهال عليه لثمًا وتقبيلاً، وثالثة تنخرط في معزوفة بكاء، ورابعة تكيل له وللحكومة وللعسكر السباب...

لقد قسم الروائي روايته إلى 20 قسمًا معتمدًا على الحدث وانعطافه وحصول ما هو جديد فيه.. كما أنه اعتمد على المكان الجديد الذي ينتقل إليه الحدث في غالبية أقسام الرواية، وكان للمكان في هذه الرواية- كما للشخصية-

أهمية خاصة؛ حيث ترافق تغير المكان مع انعطاف الحدث وحصول ما هو مؤثر في أحداث الرواية، وقد بدأت غالبية الأقسام وتحدثت عن المكان وتحديده، وهذا مؤشر على الاهتمام بالمكان، ففي القسم الثاني يبدأ بتحديد المكان وهو مدينة صيدا؛ حيث قال في بدايته:(الموج يغسل ثغر مدينة صيدا، وزوارق الصيادين تطرز ساحلها...)، وفي المقطع الثامن نجد الحدث ينتقل إلى مخيم الرشيدية، بعد بيروت، وفي التاسع الطريق بين لبنان وحمص عندما عاد الموشوم ولونا إلى سورية، والعاشر المكان هو المشفى...

لقد اتكأ الروائي في سرده على تطور الشخصية وتحولها وتبدلها بما يخدم الحدث في الرواية، فشخصية زمرد في بداية القصة هي غيرها في نهايتها، فقد تطورت من فتاة متهمة بالجنون إلى عشيقة للدكتور حسان ثم زوجة فيما بعد، وانتقالها إلى بيروت ثم إلى صيدا ومتابعتها للدراسة وتفوقها وفتح آفاق الدراسات العليا على حساب الجمعية الخيرية؛ فهي فتاة انتقلت من الحضيض إلى القمة.

وكذلك حلا التي تعيش مع أبويها فقد تابعت دراستها وأكملتها، وأصبحت الصديقة الحميمة لزمرد؛ بل أختًا لها ترافقها، كما أنها دخلت الجامعة لإكمال الدراسة.. أما الدكتور حسان فبعد تركه للمشفى وانتقاله إلى لبنان وعمله كبائع في سوق الخضار- للتنكر والتمويه- وقد نمت علاقته بل محبته المتبادلة مع زمرد موهبة فن الرسم؛ وأخذ يرسم لوحات جميلة، وتطور به الأمر ليفتح مرسمًا فيه لوحة جميلة هي صورة لمحبوبته زمرد.. وانتقال العائلة بالكامل إلى مخيم نهر البارد بعد عدوان تموز وانتقال زمرد إلى السكن الجامعي في بيروت، ثم انتقالها إلى السكن مع ماري.

لكننا نجد- في الوقت نفسه- الأمر عكسيًا عند صفيه(أم زمرد) التي ذاقت الكأس نفسه الذي أشربته لابنتها، فقد نامت في المصح وفي المهجع السابع وعلى السرير نفسه الذي كانت تنام عليه زمرد، وكأن الكاتب أراد أن يقول مقولة محددة من خلال ذلك، وهي أن الظالم لا بد من أن يقع في شر أعماله وأفعاله؛ وأن يشرب من الكأس الذي أشرب منه الآخرين...

فتبدل الشخصيات وتطورها من شأنها أن يقوما بحركة تغييرية في السرد، بل يسعى الروائي إلى تجديد سرده؛ مما يجعلنا كقراء متشبثين بالرواية ومتعلقين بأحداثها ومصادقين لشخصياتها من دون ملل من الشخصيات؛ لأنها لم تعد نمطية؛ بل كشف لنا عن خبايا موجودة في أعماقها من جهة؛ وبأنها لم تستسلم لواقعها؛ بل طورت نفسها وغيرت حياتها من جهة أخرى؛ وهذا ما يجعل السرد في حركة مستمرة؛ والشخصيات في ملامح لم نعرفها فيها من قبل، وكل هذا ينعكس على سلوكياتها التي تؤثر في الحدث الذي سيظل في حالة مفاجآت تؤدي إلى انعطافات في الحركة السردية في الرواية التي ستأخذنا إلى عوالم جديدة لا عهد لنا بها في المراحل السردية السابقة.

لكني وجدت انقطاعًا في السرد وبخاصة في القسم التاسع؛ فهو منفصل عن جسد الرواية؛ كما أنه لا يصب في مجراها أبداً؛ فهو يتحدث عن شخصيات ثانوية لم تؤثر في الشخصيات الرئيسة، كما أن هذا القسم لم يوظف لتحريك الأحداث أو دعم الشخصيات؛ بدليل أننا نستطيع الاستغناء عنه من دون أن تتأثر الرواية بأي شيء؛ بل يبقى سير الأحداث والشخصيات دونما تأثر من جهة، وبأنه يمكن أن يشكل قصة قائمة بذاتها إذا ما فصلناه عن أقسام الرواية... فهويتحدث عن عودة الموشوم ولونًا من لبنان ثم يتطرق إلى انتخابات العريف وترشح رشوان وخسارته في الانتخاب ومجيء بسمة وعلاج الرشوان لابنه عند طبيب نفسي، وهنا تكون الخاتمة لقصة هذا القسم، وأقول أخيرًا بهذا الصدد إن هذا المقطع أبعدنا عن جوالرواية وأخذنا إلى منحى آخر، وجعلنا ننقطع عن أحداثها، ولا نتواصل مع شخصياتها الرئيسة (زمرد- العم مروان- الدكتور حسان..).

أما القسم الأخير (20) فقد لمست فيه إطالة في تصرفات زمردة وما تعرفه عن المكان الذي زارته مع الدكتور حسان ضمن الرحلة إلى(الأمباشي والهبارية)؛ حيث أخذت هذه التفصيلات وفي المحور ذاته سبع صفحات؛ وكان يمكن تكثيفها بصفحتين ما دام الحديث كله موظفًا لإظهار معرفة(زمردة) بهذين المكانين.. لكن ما يسوّغ هذه الإطالة ربما أن الروائي لم يرد أن يخرج عن منهجيته في بناء السرد؛ حيث كان يغمز دائمًا إلى أمر سيحصل وإلى حقيقة ما

ستتبين، وذلك من خلال إشارة في عبارة أو تصرف أو موقف؛ فأم الصالح عندما أتوا بابنها(الصالح) ميتًا على أنه منتحر برصاصتين؛ وألقت أمه نظرة الوداع عليه، أخذت تصيح هذا ليس الصالح... أين الوحمة على وجهه؟! وظنوا أن الأم ترفض تصديق الخبر، ولكن فيما بعد تبين أن الصالح فعلاً ما زال حيًا يرزق، عندما ناداه الموشوم باسمه في مكان الانفجار الذي حصل في بيروت، فرد عليه بطريقة لا شعورية، ثم تعانقا، وسأله عن تنكره وتغيير شكله... كل هذا من شأنه أن يخلق في السرد حركة فيخلط الأوراق تجاه الحدث من جهة، ويفاجئ القارئ بأنه على قيد الحياة فيما بعد من جهة أخرى، فلعبة السرد هذه من شأنها أن تضفي- إضافة إلى ما ذكر- تشويقًا ومتعة وفرحة بحياة الصالح...

ومن الواضح في منهجية السرد اعتماده على الحوار الذي كان يستخدمه كلما أحسسنا بأن السرد قد قرب من النمطية والهدوء، وكأنه يريد أن يحرك الحدث، ويظهر سلوك الشخصيات، وأفق تفكير كل منها، فعندما أطال الدكتور من التفرس بوجه زمرد في المشفى يقول لـ(ص12):

(عاد من شروده وسألها: للقصة تتمة لم ترويها لي يا زمرد، فقد رويت أقل من نصف الحقيقة أخيرا تحرك الصنم ونطق، وأين نصف الحقيقة الثاني ويرد الدكتور...)، وقد استخدم الروائي الحوار كوسيلة للكشف عن شخصيته والتهيئة لوقوع حدث، ولتنفيذ أمر أطباء المشفى عندما قرروا إخراج زمرد من المشفى، فأدار الحوار التالي بين الدكتور حسان وزمرد(ص20):-زمرد.. أنا بت أفهمك ثقي بأنني لن أتخلى عنك وسنبقى على اتصال أينما كنت، ماذا تقولين ؟- لكن بشرط أن تستدعي عمي من لبنان ليأخذني.- لكنك لم تذكري لي مرة أن لك عمًا في لبنان.- هوأفضل من عم حقيقي... يمكنكم الاتصال به...)

لكني وجدت الحوار في مواضع محدودة بعيدًا عن السلوك الطبيعي للإنسان بل متنافرا معه، فعندما كانت زمرد في بيت العم مروان يرن الهاتف متواترًا، ويقول العم مروان ويقطع شرودها، وينتشلها من رعبها مناديًا(ص22): (زمرد التلفون لك، تعالي ردي بسرعة، زمرد تستهجن تقول وهي تضرب يدها فوق نهديها :إلي أنا، وتسير الهوينى إلى البيت المجاور تتناول سماعة الهاتف بحذر تنفرد أساريرها فجأة ترد متلعثمة:-دكتور حسان...)

فالأمر المنطقي أن تسرع زمرد في مشيتها عندما تفاجأ بأن الهاتف لها، وقد أبدت هذا التفاجؤ والاستهجان وأخذها للسماعة وانفراد أساريرها فيما بعد.. كل ذلك يدل على تشوقها لتعرف من على الهاتف،وعندما عرفت انفرجت أساريرها وزالت كل تلك المظاهر التي بدت عليها قبل أخذها للسماعة..

لقد استند الحوار إلى عنصر التشويق وحب الفضول لمعرفة القارئ لما يحدث، فعندما طلب العم مروان من زوجته أن تجهز أغراض البيت للرحيل، نلاحظ أن هذه الزوجة لم تستهجن ولم تطلب من زوجها معرفة السبب، ووقفنا كقراء حائرين لنتساءل ماذا حدث؟ إلى أن دار الحوار بين العم مروان وزمرد وحلا، وسدت زمرد الباب أمامه واستحلفته بروح أبيها لأنها أحست بخطر ما يداهم البيت؛ عندها اضطر إلى أن يبوح بما قاله الدكتور له على انفراد، وهو أن مطاوع (الضابط) أخذ عنوان البيت عندما جاء إلى المشفى، ويريد أن يعيد زمرد إلى المصح مكبلة بالحديد ويتوعد مروان بأشد العقاب..

لقد أجاد الروائي في نسج حبكات عدة ضمن الرواية ومن خلال تأزم الأحداث وتشابكها وتداخلها؛ لكن أقواها والتي أوصلت الرواية إلى ذروة العقدة عندما وصلت أمور البطلة(زمرد) إلى مفترق طرق، ولا نعرف ما سيحدث بعد تعقد الأحداث، ولم نعد ندرك إلى أين ستأخذنا الرواية؛ فنحن كقراء وقفنا أمام المجهول فـ(زمرد) لم تنجح إلا في مادة واحدة في المدرسة الخيرية، وإذا لن تتدارك وضعها فستنجح(حلا) وتتأخر هي وسترسب وستعيد السنة على حسابها الخاص، وهي لا تملك المال، والدكتور ذهب ولم يعد، وإذا سلمها العم مروان إلى أهلها؛ معنى ذلك قضى عليها وحكم عليها بالإعدام، وهنا وصلنا إلى ذروة الحبكة، ويتضاعف لدينا توق قوي لنعرف الحل النهائي والمصير الذي ينتظر تلك الفتاة التي عارضها الحظ في حياتها، ولم تساندها وتساعدها وتقف معها الظروف المحيطة بها.

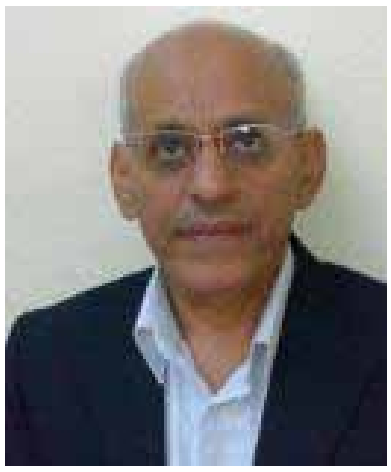
الروائي القاص جميل شقير

*** اللغة السردية:**

إن اللغة السردية التي يختارها الروائي منتقاة ومسخرة لخدمة المعاني والوصف النفسي وردة الفعل من سلوكيات شخصية من الشخصيات وأثرها على الشخصية الأخرى، ويظهر ذلك من خلال موقف(حلا) من زمرد عندما كانت في بيتهم (بيت العم مروان) في بيروت، ولبست الفستان الملون وأخذت تجول في البيت وكأنه بيتها وتأثر(حلا) من هذه التصرفات؛ فنقل إلينا من خلال اختياره للمفردات المعبرة عن الموقف والخلجات النفسية لها تجاه تلك التصرفات (ص24):

(الموقف لا يريح حلا لسببين؛ الأول: حركات زمرد العفوية بين غرف البيت وكأنها من سكانه، والثاني: تقربها من الزائر الجديد الذي قلب سلوكها المنطوي البائس إلى فراشة متعددة الألوان تطير في سماء البيت بحركات جذلى، ولم يسبق أن شوهدت تقوم بها، مما جعل حلا تنزوي وتراقب الوضع باختلاس النظر، وعض الأصابع) فالأفعال: لا يريح- قلب سلوكها- تقوم بها- تنزوي- تراقب...

والمفردات والتراكيب: حركات - الزائر الجديد- سلوكها المنطوي- حركات جذلى- اختلاس النظر- عض الأصابع، كلها تبين الواقعة بجزئياتها وما يحدث داخل البيت- بيت العم مروان- من جهة وموقف حلا المراقب والمتأثر لما يحدث، والخجل النفسي من التصريح وإعلان هذا الموقف بصوت مسموع من جهة أخرى.. كل هذا من خلال انتقاء المفردات وصناعة التراكيب لتتكامل وتكتمل في بناء صورة تعبر عن حدث ما يجري وردة الفعل من الآخرين تجاهه....

وفي لغة الوصف نلاحظ أنه يستخدم ألفاظًا تعبر عن الحالة الشعورية التي تمر بها هذه الشخصية أو تلك؛ ففي القسم الثالث(ص41) يقول: (لقد انتفخت فتحتا أنفه..) ويقول:(أطلق تنهيدة، فرك كفيه ببعضهما..) فالأفعال: انتفخت- انتصبت- تهدل- رمى- أخذ- احتضن- أطلق- فرك.. كلها أفعال تشكل الصورة الوصفية الجسدية والنفسية للعم مروان عدما دخل البيت، وكل هذه الأفعال تشير إلى التوتر والانفعال والقلق الذي وصل به إلى مرحلة الغضب، الأمر الذي يدفع القارئ إلى الفضول لمعرفة سبب هذا الانفعال، وما الذي أدى به إلى الوصول إلى هذه الحالة الشعورية المتوترة... وهومشهد الدبابة التي أمر ضابطها أن تمشي على السيارة التي كان سائقها ينزل الزجاج الكترونيًا واستغراب العسكري على الحاجز، فسأل السائق عن ذلك، فمازحه السائق وقال له: أقول للزجاج انزل فينزل واطلع فيطلع وسماع الضابط للجدال فأمر قائد الدبابة المجاورة أن يطلع فوق السيارة..

وقد وقعت على بعض التعبيرات اللغوية التي تحاكي حدثًا معينًا؛ أو تصور موقفًا نفسيًا، فيقول (ص15) :(ثم ساورها إحساس مظلي انفتحت مظلته قبيل ارتطامه بالأرض) ولم يقل في اللحظة الأخيرة من طيرانه، فكان التعبير أكثر وقعًا في النفس لأنه يميل إلى التشبيه أولاً؛ ولأنه غير مباشر ثانيًا؛ ولأنه غير مطروق ومعهود في التعبيرات اللغوية ثالثًا وأخيرًا..كما يقول:(فيزداد صهيل ذاكرته ويطوح فوق أعلى الحواجز الأمنية، سمعت منه المحظورات ورأته يتجاوز الخطوط الحمر، مثل طائر شفاف، لا يرصد الرادار ولا تسمع كلامه آذان المخبرين)، فنلاحظ اللجوء إلى الأسلوب التعبيري بلغة غير مألوفة، فالمعاني وصلت بقوة إلى أذهاننا من خلال الاستعارة التي عبرت عن تصاعد حالة الذاكرة(صهيل ذاكرته)؛ حيث أسهمت هذه الحالة في تذكر المزيد من الذكريات والأفكار والكلام الذي يفيد في إغناء الحالة الشعورية التي تعيشها الشخصية والأسلوب النفسي في التعبير عن الموقف الذي وضعت فيه، لكن حبذا -هنا-لوقال قفز فوق أعلى الحواجز الأمنية لأن معنى(طوح): سقط أرضًا.. كما نراه يستعين بأقوال وعبارات متداولة وأمثال من أجل إيصال الفكرة وتقريبها إلى ذهن القارئ لتجسيد موقف موظف لتصوير الحدث من كل جوانبه وزواياه، مثل (ص38): (وجدت زمرد القوم وكأن على رؤوسهم الطير)، و(ص56): (في البيت كانت ثالثة الأثافي) و(ص 191): (الكل متهم حتى تثبت براءته) .

خاتمة هذه الرواية مصوغة بشكل محبوك، ولا يسمح الكاتب فيها بأي ثغرة؛ بل على العكس كانت تعتمد على كسر التوقع وإثارة الصدمة في النفس لنهاية هذه الرحلة، وبالتالي لنهاية الرواية، فقد اعتمد الروائي على عنصر المفاجأة بوقوع الأحداث منذ موت أم زمرد بعد استعادتها بعضًا من صحتها واستيقاظها من مرضها إلى ذهاب زمرد والدكتور إلى الرحلة، وظهور براعة زمرد في المعلومات وبروزها كشخصية متميزة في هذه الرحلة وبراعتها في الشرح جغرافيًا وتاريخيًا للمناطق المختلفة في هذه المنطقة، إلى ان دخلت النفق وهنا كانت النهاية فدخلت ولم تعد..

لقد فرش لنا الروائي معلومات حول تألق زمرد بالمعلومات وإعطاء صورة مشرقة عن معرفتها بالمكان وثقافتها وعلمها بأموره... إلى أن يأخذنا باتجاه معاكس تمامًا إلى ضياعها وفقدانها وعدم رجوعها بعد دخولها النفق، هذه الخاتمة تركت بصمة إضافية إلى بصمات تركتها أحداث كثيرة في الرواية؛ لكنها كانت أكثرها تأثيرًا؛ لأنها كانت تخص الشخصية الرئيسة في هذه الرواية.

*** الأغلاط اللغوية:**

هناك من يقول بألا نتحدث عن الأغلاط النحوية والإملائية في القصة والرواية؛ وبأن أي كاتب يمكن أن يعطي القصة أوالرواية إلى أي مدقق لغوي ويصحح له الأغلاط، ويكون العمل الأدبي خاليًا من الأغلاط، وهنا أقول: إن كثيرًا من الأعمال الأدبية تكون مدققة من مدقق لغوي، لكننا مع ذلك نقع على الكثير من الأغلاط، وكلنا نعلم أن اللغة هي المادة الخام التي يصوغ بها الكاتب مادته، فيجب أن تكون خالية من الأغلاط حتى تصل المعاني إلى القارئ في سياقها الصحيح وبالمعنى الذي يقصده الكاتب، لذلك لابد من وجود لغة سليمة معافاة خالية من الأغلاط حتى يكون العمل الأدبي مكتملاً لغويًا، وأن يكون الأديب على سوية لغوية مقبولة وأن تكون الأغلاط اللغوية محدودة في عمله.

يا سوريا غردي

نذير العظمة

إذا قلت يا سوريا غردي
سمعت اليمام بقلب الغيوم
فأشعل في عتمتي شمعة
تضيء المرايا وتمحو التخوم
ترف الأضاحي على دمها
لتنشلنا من زوايا الهموم
فتشمخ من قاسيون الجباه
ويخترم الأرزُ ريح السموم
أضرجه بدمي يافعاً
أصلي بمحرابه وأصوم
فيرتعش الضوء من رحمه
وينهض فجر كريم حميم
فأهتف يا سوريا غردي
فإن حصار الدجى لا يدوم

عَزْفٌ غيرُ مُنفرِد

إلى الشاعر طالب همَّاش

صالح محمود سلمان

(قَد نُشعِلُ في صَحْنِ الدّارِ
سِراجَ السَّهراتِ)
(ونَعصِرُ عُنقودَ اللُّقْيا في هَيَفِ الكاساتِ)
ولكنَّ الغيتارَ بُكاءٌ
والعُودَ نشيجٌ
والنّايَ دُعاءُ تَسَّاقَطُ أحجارُ السَّيْلِ
على شفتَيْـهْ
واللّيلُ الهَمَجيُّ السَّكرانُ
بخمرةِ أرواحِ عصافيرِ الضّوءِ
يُكسِّرُ أَنجُمَهُ الزَّهراءَ
ويحفرُ في أرجاءِ عباءَتِهِ
أَنفاقاً لِبَنيـهْ
قـد ننظُرُ من شُبّاكِ الأشعارِ :
هُناكَ قَوافٍ ذابلـةٌ
وعيـونٌ داميَـةٌ
ومَراثٍ غارقةٌ في حِبْر
شراييـنِ الكلماتِ
فلا تعجبْ إن أَغلقَ عُـودُ السَّهراتِ اللَّحنَ
عليْـهْ
وتَناوَسَ إشعاعُ الإبريقِ
وغَمْغَمَتِ الكاساتُ
وأَوغَلَ قنديلُ السُّمّارِ جريحاً
في ظُلُماتِ التِّيـهْ
قـد نُسأَلُ عنـهُ :
فعيناهُ احترقَ الصُّبحُ بدمعهما
فتَأَوَّهَ قلبُ الصَّخْرِ
الآهاتُ مُعـانٍ واضحةٌ
والموتُ وُضوحٌ سِرّانيٌّ
يَتَجوَّلُ في أَوردةِ الأحياءِ يُلَوِّنُها
بمدادٍ يتدفَّقُ من إيغالِ يَديْـهْ
فتَفيضُ الألوانُ لتحجبَ أَخَواتُ (الغرنيكا)
أَضواءَ مصابيحِ الشُّرفاتِ
وترقصَ فارهةَ العُزْيِ على الحلَباتِ
وفي السّاحاتْ
هـل قرأَت كفّاكَ الأشلاءَ المحمولةَ
فوقَ شظايا الأكتافِ ؟
وهـل لَمَسَت عيناكَ رؤوسَ الأطفالِ
كُراتٍ تتدحرجُ في ملعبِ
أبناءِ الشّهواتِ ؟
وهـل وَسَّدتَ الشَّجَرَ المَحروقَ
زنودَ قصائدِكَ الخضراءِ
لعلَّ قَداديسَ تُقـامُ
لعلَّ (ديوكَ الجنِّ) قُبَيْلَ الفجْرِ تُنادي
« هـل يَسمعُها أَحَـدٌ ؟! »
ولعلَّ (وُروداً) لا تَذبلُ
حينَ تَفيضُ يَنابيعُ الغُصّاتْ
(كَرَوانُ اللَّيلِ) يُسامرُكَ الآنَ
حزينـاً مازالَ
تَأَمَّـلْ عينَيْـهِ
وحيـداً من بَعدِ جَفافِ الأصواتِ حَوالَيْـهْ
مَزميّـاً في آبارِ الصَّمتِ
يُنادي أبناءَ عُمومتِـهِ
لا أَحَـدٌ يَسمعُـهُ
لَكأنَّ الإصغاءَ استعصى
مِـن إيقاعِ تَساقُطِ أوراقِ العُمْـرِ
ومِـن أَصداءِ أَزيزِ الموتِ على العَتَبـاتْ
و (العقلُ المُظلِمُ)
لا يَشربُ من يُنبوعِ الأنوارِ
ولا يَشتاقُ حُقولَ التُّفّاحِ
ولا يُفرِحُهُ أَن يَسمعَ موسيقا السُّمَّارِ
(العقلُ المُظلِمُ)
إدمانٌ شَهَويٌّ
يُغْوي عينيْهِ اللَّونُ الأصفرُ
واللَّـونُ الأحمـرُ يُغْريـهْ
لا تُشعِلْ في صَحنِ الدارِ سِراجَ الخمرةِ
فالأصحابُ احترقوا تحتَ بَريقِ الشُّهرةِ
وارتحَلوا مثلَ زرازيرِ الأحلامِ
اغترَبوا
كي يَجْنوا أملاحاً من بحرِ الظُّلُماتِ
اشْتَمَلوا
كي يُلْقوا في الآبارِ ذَويهِمْ
واقتَبَلوا
كي يَأْتوا بمزيدٍ من " ترياقِ "
ثَعابينِ الفلَواتْ
(لن تعصرَ عُنقودكَ في أَقداحِ السَّهْرةِ)
فالدّاليَةُ ارتَحَلَت فوق بِساطِ النّارِ
و (سُلطانُ الأحزانِ) يُساوي
ما بينَ الفاعلِ والمَفعولِ
وقلبُكَ نافورةُ آلامٍ
ولُهاثُكَ مثلُ أَنينِ القَصَبِ المقتولِ
كأَنَّكَ عصفورٌ خَذَلَتهُ الموسيقا فَتَلَعثَمَ
لا يَعرفُ كيفَ يُعيدُ الصَّوتَ
من القُضبانِ إليْـهْ
سَوداءُ أَصداءُ اللَّوحةِ
حَمراءُ العيْنيْنِ
(كَميراها) تَتَجوَّلُ في أَرجاءِ الدّارِ :
أَوانٍ عامرةٌ باللَّحمِ الطّازَجِ
أَطباقٌ طائرةٌ
تَتَناولُ أَفئِدةَ العُشَّاقِ
جِراحٌ أَعياها النَّزْفُ
فصارَتْ أَفواهاً
أَثداءٌ كَجِرارٍ كَسَرَتها أَقدامُ الأَفيالِ
فَسالَ الماءُ حَليباً تَشربُهُ العِيـرُ
وتُوغلُ في التَّرْحالِ
مَوانـئُ ذاهلةٌ
ومَراكبُ ناحلةٌ
أَمْواجٌ صاعدةٌ من كُلِّ رؤوسِ
تَنانينِ الأعماقِ
وأَسئلةٌ تَتَواثَبُ
لكنَّ الأجوبةَ " العَصماءَ " غُبارٌ
يَتَغَلْغَلُ في الآذانْ
هـل قُلتَ : رُوَيْدّكَ ؟
إن كنتُ أُخاطبُكَ الآنَ
فإنِّي لا أَعنيكَ تماماً
بل أَنظرُ في كُلِّ مَرايا الكونِ
وأَقرأُ أَحزانَ الغَرَباءِ / الشُّعَراءِ
ائتَلَفَت أَقمارُ لياليهِمْ
وافتَرَقوا
كي تجمعَهم ذاكرةُ العِصْيانْ
فَلْنَخرُجْ
كي نقرعَ في كلِّ بيوتِ الأرضِ نَواقيسَ الحُبِّ
ونسكُبَ في الأقداحِ عناقيدَ الأعراسِ
وأَسْمِعني أَلحانَ كَمانِ الإشراقِ
يُحَلِّقُ مثلَ كَناريٍّ
وَتَرَنَّـمْ
مازالتْ أَقلامُ الشُّعراءِ مصابيحَ الكونِ
ومازالوا في هذي الأرضِ
/ ولَو كرهَ اللَّيليُّونَ (الأَفذاذُ) /
المِشْكـاةْ

"سارة" عيار ٢٤

سوزان ابراهيم

أجزم أن الطلقة التي استقرت في رأسها لم تكن تدرك من هي تلك الصبية؛ أجزم أنه لم يكن للدم المنسكب على وجهها طعمٌ يختلف عن طعم الدم المنسكب من هارب على اسفلت الشوارع, أو من متخفٍ في ركن أكثر أمناً ملتصقٍ بالأعمدة الخرسانية في بيته!

كانت ستتم رابعتها بعد العشرين بعد أسبوع.. هي باقة السنوات التي زرعت أرضها بالسؤال عن الأرقام... لماذا هذا التقديس للأرقام؟ الآن ترتمي كملاءة مجعدة على السرير في أقرب مشفى تمكنت سيارة الإسعاف من وصوله!

قبل أسبوع من تمام بدر الرابعة والعشرين، قالت لرفيق قلبها: أعجب لهذه الأرقام التي تتكرر: ثلاثة، سبعة، الأربعون، الاثنا عشر، والأربع والعشرون... من جاء بها بهذه الطريقة؟ هل تظن أن عامي الرابع والعشرين سيكون مميزاً؟

بعد انتظار موجع تستفيق سارة.

وجه طفولي شاحب.. عينان تحلقان فلا تحطّان على أحد هنا في الغرفة المعقمة جيداً. أراقبها بحنان, فأنا هي حتى قبيل الرابعة والعشرين بسبعة أيام.. مرت أيام ستة- كما خلق الله الكون في ستة وفي اليوم السابع على العرش استوى- أما سارة فقد استوت على كون آخر, فانفصلنا.. صارت سارة بعد الرابعة والعشرين, مختلفةً تماماً عنها قبل اكتمالها بأسبوع.

سارة الذات والمعنى قبل أن تستقر رصاصةٌ ذهبية حارّة في رأسها. عند الساعة الثانية عشر من نهار اليوم السابع من الشهر السابع, انفصلت مثل مكوك فضائي, صارت هي الذات الضائعة عن معناها.. وأنا المعنى الذي لا يتجسد دونها.. ويصبح اتحادنا, بوجود تلك الرصاصة المخبأة كبندقة في جوف شتاء, أمراً بالغ الصعوبة.

تحمل سارة الجديدةُ ذاكرة ناصعة البياض مثل طفل خرج للتو.. فلماذا أتحمل وحدي وزر هذه الذاكرة المحتشدة! أصرخ بالطبيب الذي أخبر الأهل بأن سارة مرتاحة تماماً.. سارة الآن بلا ماضٍ.. أصرخ به بأنني هنا وأنني أحمل كل ماضيها، وما عليه إلا أن يجد طريقة لأنسكب فيها!

لا تعرف سارة وجهها في المرآة.. أهمس في أذنها: هذه أنت أيتها الجميلة؟! لم تغير الرصاصة اللعينة فيكِ شيئاً سوى أعماق عينيك الفارغتين.. وهذه الابتسامة المحايدة المتأرجحة بين الدهشة والاستغراب, كمن يبحث عن مرساة وقد تعب الإبحار.. كمن يريد الأرض مستقراً لا الماء.

سارة أرجوك ساعديني كي نلتقي! أنا أنتِ المنزلقة خارج تاريخك.. أنا عباءتك فارتديني! سارة ما الخيط اللازم لأخيط نفسي إليك؟!

تنظر في وجوه من حولها دون أن تفهم سبب الحزن الطافح في عيون عدد من الأشخاص, لكنها تتعاطف مع هذا الحنان المتدفق منهم. لعلها تسأل نفسها: من هؤلاء؟ هل أعرفهم؟ هل يعرفونني؟

هي لن تعرف أبداً أن رفيق قلبها الذي رسم البلاد لا كما يشتهي الآخرون, لم يتمكن من زيارتها خلال أربعين يوماً من غيبوبة باذخة قضتها هنا.. ولن تعرف أبداً أنه حين علم بالقطعة الذهبية التي أطاحت بكل أحلامهما, لم يقو على احتمال الزنزانة المنفردة أكثر, فقرر إطلاق سراح نفسه تاركاً دم رأسه النازف على نافذة قطار رسمه على الجدار حين قفز عبرها, ليتشكل مثل غيم يحلّق في الفضاء.

أطفال المدرسة التي كانت تزورها كل يوم مازالوا يدعون لها بالعودة سالمة... هي سالمة الآن فعلاً.. لكنها لم تعد! حتى تلك السيدة التي أطلقتْ عليها لقب (سكوب الألوان) لكثرة ما كانت تطلي وجهها بالألوان, مازالت تضحك كلما قيل لها: سارة تسلّم عليك!

(سكوب الألوان) سيدة فقدت طفلين بعبوة ناسفة.. تمزق عقلها بنفس بالطريقة التي تمزق بها الجسدان الصغيران.. ثم تمزقت جدران بيتها... خرجت تركض بحذاء ذي كعب مكسور.. وألوان صارخة ترسم على وجهها لوحة سوريالية بتواطؤ مع ملح الدمع, وقهقهات جنونية.

شاركت سارة بتوزيع بعض المساعدات على العائلات المقيمة في إحدى المدارس القريبة من بيتها. ثمة قاعة دراسية خصصت للملابس, من بينها ملابس داخلية خاصة بالنساء. حين وصلت السيدة (سكوب الألوان) أعطتها سارة لباساً تحتياً بلون فاقع يشبه لون الكيوي.. فما كان من السيدة إلا أن صرخت بوجهها: لا أحب اللون الفستقي! أريد كيلوتاً أحمر نارياً..

هذا الصمت الرهيب يقتلني.. كيف لي أن أعبرك سارة! من دونك أنا كيس ذكريات سوف تتعفن مع الوقت, من دونك سوف أبرد ثم.. أموت.. من دونك وكأننا لم نكن أنا وأنت تاريخاً ووجوداً!! هذا الصمت يخنقني. لا أريد وحدانيتي سارة.. أريدك شريكاً...

لسنوات خلت كنت أنا- أي سارة- ومها صديقتين حميمتين رغم فارق سنوات عشرة بيننا لصالحها. لم ننتمِ إلى طائفة واحدة, لكننا انتمينا إلى الزمن القاسي نفسه.. ولمشوار التعب والركض في شوارع الحياة. بعد عناء مع الأمراض رحل والدا مها بفارق سنوات قليلة بينهما, مخلفيْن في عهدتها أخاً رجلاً وأختاً صبية- بالإضافة إلى ولدين من زواج فاشل.

مراتٍ كثيرةً حدّثتني مها عن تركة صعبة تهد جبلاً, فالأخوان مصابان بمرض نفسي ويحتاجان إلى رعاية خاصة جداً. أذكر معاناتها اليومية كلما دخل أخوها مشفى ابن سينا لأيام أو لأسابيع، وكيف كانت تزوره وتأخذ له الطعام الذي يحب, وتعطيه المال وكل ما يلزمه.

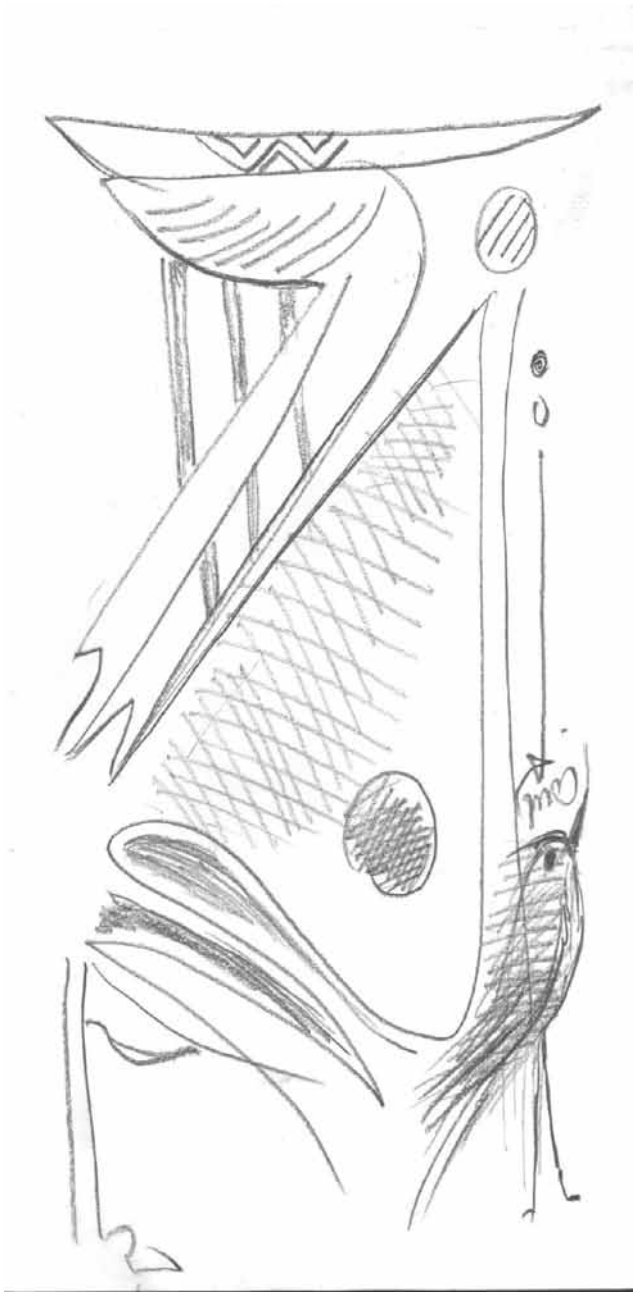

مها وأنا خرجنا ذات صباح كئيب من الحي الذي نسكنه ومن البناء نفسه, فبيني وبينها طابق واحد, تحت قرقعة الرصاص. مازال صوتها الصارخ على الهاتف طالباً من أخيها الخروج فوراً والالتحاق بها مع أخته، والتأكيد عليه بألاّ ينسيا أدويتهما.. يتردد في أذنيّ.

اليوم.. لن تتمكن سارة ذاتُ الرأس الممهور بقلب رصاصة ذهبية من تذكر وجه مها.. ولن تتذكر بعد اليوم ذلك الصباح المغسول بالخوف والهلع وبكاء الأطفال وصراخ الأمهات.. لن تتذكر الأكياس المتخمة باللباس والأدوية وحليب الأطفال.. لن تتذكر أنها في زحمة ذلك الحزن المكثف ضحكت, فأثارت نظرات استغراب من حولها ودهشتهم! لقد وقعت حقيبة يد إحدى السيدات الهاربات على الأرض وتبعثرت محتوياتها, وحين لمحت سارة حبوب منع الحمل بين الأشياء المبعثرة لم تتمالك نفسها. يومها همست.. لا.. بل صرخت: إنها الحياة وسيولد أطفال كثيرون!

لن تتذكر سارة أبا عبدو أيضاً. ففي المدرسة القريبة من بيتها تلك التي اعتادت تفقد اللاجئين إليها, خُصص يوم لحمام السيدات, ويوم لحمام الرجال, لكن أبا عبدو وهو يتوجه إلى الحمام لحقت به أم عبدو قائلة: الرجل كتفه تؤلمه, سأساعده على تدليكه بالماء الساخن.. وسرعان ما ارتسمت ضحكاتٌ مكبوتة ونظراتٌ ذات مغزى, لتعلو أصوات بعض الرجال عند خروجه من الحمام: نعيماً أبو عبدو.. مشددين على كل حرف... كما أنها لن تضحك بعد الآن من تسويغ أم عمار للنسوة وهي تقول: أردت وأبو عمار الكشف على خزانات المياه فوق السطح هذا كل شيء!

لن تتذكر سارة بعد اليوم صوت مها المختنقَ المتأسفَ على الهاتف، وهي تخبرها أن أخاها الذي أرهقه اليأس وضاق به العيش، اشترى حبلاً بلاستيكياً، وحين وجد البيت خالياً إلا منه, شنق نفسه. لن تتذكر سارة ما روته مها عن طقوس دفن الأخ بمساعدة أربعة أشخاص فقط, تدبرت وجودهم معها بمشقة كبيرة, فالحي خلا من سكانه، ولم يعد فيه غير قرقعة الرصاص.. ولأن الفقر يلازمها, كما يلازم دروبَ كل الهاربين إلى المدارس والحدائق والطرقات, وظلال الأشجار, حفروا قبر أمها الذي حُفر سابقاً لجدتها, جمعوا عظام الأم في كيس, وبعد إتمام دفن الأخ, وضعوا الكيس فوق الحجر قبل أن يهيلوا التراب, فما كان من عظام الأم إلا أن انفلتت وتراكضت وتململت بين الفراغات لتحتضن الجسد الطري.

لن تتذكر سارة ما صرخت به بصوتٍ عالٍ في وجه السواد الذي يتحدى بياضنا: إن كنت في المدى المجدي للرصاص.. أي فرق يحدث أياً كان اسمك؟ أي خصوصية لك, ههنا, وعين القناص تصوب في عقر قلبك؟ في زحمة الحقائب والأكياس المحشوة على عجل بما يقع تحت اليد المرتجفة.. في زمن الخروج الجماعي.. والموت الجماعي؛ أي فرق يحدثه اسمك؟ .. وأنت على مسافة صراخ تحذير؛ وعويلِ سيارة إسعاف؛ وسرب رصاص يحلق فوق الرؤوس.. ما همني الآن اسمك، دينك، مدينتك؟! في زمن الهاتف المستجير بأخٍ، أو قريب، أو صديق.. أو حتى بغريب.. ليجد لك مأوى أكثر بعداً عن الموت ولو بأمتار قليلة... أي فرق سيحدثه اسمك، دينك، مدينتك؟!

قبل عيد ميلادها بسبعة أيام قالت سارة: بعد أيام قليلة سأغدو سارة عيار أربع وعشرين.. فصارت سارة التي أضاعت طلقةٌ ذهبية من عيار الطيش الأكبر بكل السنوات التي حفظتُها أنا جيداً ودمرتها هي بأقل من طرفة غدر.

كيف لتلك القطعة الذهبية الصغيرة أن تتحول إلى معقم قوي يمسح كل ما في خزانة عقلكِ من أحداث وملفات وصور؟! ويغدو النسيان مزيلاً للزمن، مذيباً لدهونه الصعبة.. لكنني هنا.. أنا كيس ذاكرتك.. صندوقك الأسود.. فافتحيني لنلتقي.. لتكملي رابعتك بعد العشرين!

أنظر إلى سارة التي لم تكن الآن صنو نفسي وتوأمي.. تفرحني ضحكتها المنطلقة كشمس صيف.. تخرج بصحبة أهلها مثل طفلة ستتعلم الحياة مرة أخرى من نقطة الصفر.

امرأةٌ بكلِّ المفردات

جهاد الأحمدية

يا لها امرأةً
تفيضُ بدفئها
عن حاجةِ
القلبِ الكسيحْ
يا لَعينيها اللَّتينِ
تعتِّقان نبيذَ قانا
حين يدعونا
إلى دمِهِ المسيحْ
يا لها من شعلةٍ
في قمَّةِ (الأولمبِ)
لا يخبو صهيلُ بروقِها
أو يستريحْ
منها تعلَّمَ
(أوزفُيوسُ) العزفَ
والنَّايُ الغرامَ
وبُحَّةَ القلبِ الجريحْ
يا لها شاميَّةُ العينينِ
ياسْمينيَّةُ الخدينِ
يلفحُ وجهَها
خفَرٌ دمشقيٌّ شفيف
يا لها مِن ...
حين تنضو
ما تلفُّ به الحريرَ
عن الحريرْ
يا لها .. امرأةً
إذا سكتت عن القولِ المباحْ
شهرزادٌ حينَ يحفَلُ
بالتفاتتِها المساءُ
وحين يدركُها الصَّباحْ
ألفُ أنثى حين تبسمُ
أو تراقصُ نجمتينِ
على تقاسيمِ الجراحْ
يا لها امرأةٌ تهبُّ من الجنوبِ
فتشتهي نسماتِها
كلُّ الجهاتْ
يا لها امرأةٌ بكلِّ المفرداتْ.

قصائد

جدارٌ عارٍ في معرض

لماذا توقّفت؟!
مرّ سريعاً كما يفعل الآخرون.
ستنفق وقتك عندي هباءً؛
ألست ترى أنهم
تركوني وحيداً
أذوب من العري
و الخزي؟!
لو علّقوا لوحةً واحدةْ
لو قصاصة حبرٍ
قليلاً من الزركشاتِ
تشدّ العيونْ.
لماذا توقفت!

لن تفهم الأمرَ
حسبك شكوى!
فقد بدأت لوحة تتشكلُ
فوق بياضك.
مثلي من يتمتّع بالعري
في جدرٍ..في سقوفٍ.
ستُبعثُ فوقك لوحاتي البكر،
سوف يمرّ شريط
من الذكريات القديمة
كنت ظننت الزمان محاها!
كأنيَ حين أحدّق فيك
أصير محارة بحر
تحّول علّتها..ليلٌ وحدتها
لؤلؤاً فاتناً.
أو كأنيَ سربٌ من النحل
يصنع من سمِّ زهرة حقلٍ
دواءً....
سأذهب عنك سعيداً..
وممتلئاً
فأقلَّ التذمّرَ؛
قلْ:إن عندي – ما يشتهيه الجميعُ-
الصفاءَ..
وعنديَ هذا البياض،
الذي يبعث اللونَ في الناس.
يبعثُ أخيلةً
حلماً..
ورؤىً
واعدةْ.

إن خرجتُ إلى النور ...حيّاً

كنتُ رابعهم؛
رجلان وسيدتان
نحاولُ جمع شتات حوارٍ
عقيم، أثار غباراً كثيفاً
تركناه من خلفنا.
سيوزعنا الآن مصعدنا
في الطوابق..
نغفو وننسى.
أكنتُ أ–نا من تنبّه أنّا "علقنا"
وما عاد صندوقنا المعدنيُّ
يتابع ترحالهُ، أم سوايَ؟
صحا صاحبي
راح يكبسُ أزرار مصعدنا كيفما كان.
قلتُ:
لا ترتبكْ،
واضغط الآن زر الجرسْ.
وضغطنا.
قرعنا الجدارَ.
صرخنا.
مضتْ ساعةٌ..لم يجئْ
عاملٌ..
خادمٌ..
أو حرسْ!
سوف ينطفئ الضوءُ بعد قليلٍ..
جلسنا على الأرض.
أوشكتِ امرأةٌ أن تولول..
هدأتُها.
إن خرجتُ إلى النور حيّاً-يقول زميلي-
"سآخذ" سلمى، وأنجبُ منها صبيينِ،
يخرجُ صورتها ويتابع:
كيف تراها؟ أليست ملاكاً؟
وتهمسُ سيدةٌ:
إن خرجتُ إلى النور "طيّبةً"
فسأغرسُ رأسيَ في حضن أمي،
وأبكي وأبكي..وسوف تسامحني!
إن خرجتُ إلى النور..- قالت زميلتها-
سوف أقبلُ منه الطلاقَ،
ولا بأس – إن كان مازال يعشقُها-
أن يعود إليها!
تنهّدتُ:
أما أنا إن خرجتُ إلى النور حيّاً..
وأقلعَ مصعدنا فجأةً
قفزوا
صرخوا فرحاً.
فإذا انفتحَ البابُ
طاروا كهرٍ حبيسٍ،
وما نظروا خلفهم؛
كنتُ وحدي أتمتمُ:
إن خرجَ المرءُ للنور ..
حيّاً؟؟!

ثائر زين الدين

هي كيمياءُ الروحِ

لا لستِ لي
يا غيمةً ذهبيةً عبَرتْ صبيحةَ يومِ صيفْ
لا لستِ لي
ولسوفَ يُدْرِكُ قلبَكِ العطشانُ
حينَ يؤوبُ من حُلمٍ
بأني لستُ لكْ!
هي كيمياءُ الروحِ!
تجمعُنا – كعطارٍ يُركّبُ عطِرَهُ...
ولقد تبعثرنا – إذا رغبتْ – نجوماً في فلكْ!
هي كيمياءُ جسومنا الأولى
تشدّ قلوبنا نحوَ الشريكِ
وتارةً تدفَعُ عنا من نودُّ...
فسامحيني
وارفعي عينيكِ نحو الأفقِ
ليسَ لمثلِ هذا السحرِ أن يخبو
وليسَ للؤلؤِ الأجفانِ
أن يهمي على بردِ البلاطِ.
أكادُ ألمسُ في هواءِ الغرفةِ الحائرِ
ريحَ فتىً سوايَ!
تجيءُ تبحثُ عنكِ
تخترقُ الزمانَ كنصلِ سيفْ
وأكادُ أسمعُ ضحككِ المجنونَ
يسقطُ مِثلَ حبّاتِ الثمارِ على يديّهِ!
وقد أحاطكِ عنوةً...
فهربتِ نحو الركنِ باهرةً كحوريّةِ غاباتٍ
وساحِرةً كطيفْ
ويكونُ حبٌ آخرٌ
أحلى وأجمَلُ
إنّهُ الحبُ الذي تترقبينَ،
يهلُّ أبيضَ مثلَ أحلامِ الصغارِ
وطاهراً من غيرِ زيفْ!
فتمسّكي بنداءهِ الخالدِ
سيري نحوهُ كسفينةٍ تجري إلى
جبلِ الجليدِ
رشيقةً وعنيدةً
من غيرِ خوفْ

باب الحضور

محمد الفهد

في العالمِ , حيثُ أُتيحَ لذاكرتي
أن تمشي في بستانِ الأسئلةِ الكبرى
أصغيتُ لروحِ الغصنِ ليالي العشبُ جروحاً
فاشتعلتْ لغتي أشعاراً
دلَّتني لعيونٍ تصنعُ ألحاناً
ومخيِّلةٍ ما زالتْ تبتكرُ العطرَ
المشلوحَ على الأمداءْ ...
ورأيتُ نساءً يشربها ضوءٌ
في عطرِ سريرٍ , يأخذُ دربَ الغيمِ
يعطِّرُ جذرَ الدنيا
حتَّى تسقطَ في البستانِ خيوطٌ من
صيحاتٍ , تبعثُ في ليلٍ فرحاً
وحريرًا يخرجُ من رحمِ الدنيا
ويتمتمُ عطرًا في هذي الأجواءْ
وجريتُ إلى حبرٍ يمشي في نافذةٍ
ترمي في الصوتِ خيوطاً أو لوناً
لا تشبعُ أيامٌ من صوتِ رضاعتها
فيصيرُ الشعرُ سماءَ اليقظةِ في الأضواءْ
وشكوتُ الموجَ ذراعاً
تحملني للشاردِ من قصصي الأولى
لكنَّ الضوءَ يلاحقني في الظلِّ
وفي جسدٍ يتعرَّى بينهما
وينقِّشُ أسماءً في الوقتِ
وفي الجدرانِ هنا
ويكونُ الريحُ أنينَ الشهوة في الأقواسْ
وتهامسَ فيَّ السرُّ ظلالاً أو حباً
هل كانتْ معرفتي جهلاً؟؟
أم أنِّي صرتُ الشيخَ
وصارَ الطفلُ بعيداً في الأزمانِ
كمثَلِ النورس يجلسُ فوق الجرفِ
ويخفِّي دمعاً من ليلِ الأعراسْ
وتمادى فيَّ ظلالُ الكأس
الفارغ نصلاً في لغتي
وخيوطاً تكسرُ ظلَّ الرغبةِ في عيني
فكأني أسمعُ صوتَ الحزِّ على قلبي
وكأنَّ ظلالَ الوقت تقطعُ
ذاك الغامضَ من حلمي
ويكون العقربُ كالسيَّف
يخلِّع ما شاءتْ لونٌ
ويقيم غباراً فوقَ الأنفاسْ
أتخيَّلُ خاطرةً وأحاولُ بعضَ الأسطرِ
لكنِّيَ ما أنْ أُمسكُ سرَّ الحبرِ
وصوتَ الماءِ على روحي
حتَّى يتناهى صوتُ الخنجرِ قافيةً
والتاريخُ المهزومُ يسابقُ جزراً
وعناكبُ تنسجُ أرديةً سوداءَ لنا
فيضيقُ الحرفُ , يصيرُ مشانقَ
أغطيةً للضوء , وموتِ الفتنةِ
حتَّى أسمعَ صوتَ السُلطةِ في الأجراسْ
فأحاول فكَّ رموزِ الكونِ
ببعضِ اليقظةِ في قلبي
فأرى وجهاً , قمراً يتحوَّل كفاً
يأخذني بحنانِ الحبِّ إلى نقصانٍ
في روحي
ويذيبُ جليداً من أنواع شتَّى
في رأسي
ويتابعُ أخذي نحو فضاءٍ
ممزوجٍ بالفطرةِ
بالروح الأولى , لسريرِ الرغبةِ صارخةً
يتولَّدُ في جسدي صوتٌ
يرمي لجمالِ الكونِ طريقاً
من أزهارٍ تفتحُ بابَ المعنى في سرِّي
فأرى النشوةَ غيماً
يوشكُ أن يتجلَّى أوتاراً
وجمالاً يسبحُ في الأنفاسْ
وأرى جسداً من سرِّ الغابةِ
يجلس مأخوذاً ويناجي
وشوشةَ العشَّق
على الأزمانْ
فأراجعُ قلبي , ما تركتْ
أصواتٌ في سفرٍ
فتجيءُ رموزٌ من ملكوتِ الكونِ
وما قالَ العرَّاف بروحي من تلكَ الجمراتْ
ما زال الماءُ حضوراً يشعلُ
قاموسَ الكلماتْ
ويقيمُ فِراشَ الحبِّ على الأكوانْ
فيصيرُ الكشفُ دموعاً , أسئلةً
وشفاهً تعرفُ سرَّ اللَّونِ على الرمّانْ .....

قصيدتان

للياسمينِ الدمشقيّ سلام

* ويخفقُ جرحي كرفِّ الحَمامْ
يُحلّقُ حيناً وحيناً ينامْ
يسافرُ فجراً إلى الجامعِ الأمويّ
يُصلّي هناكَ بصمتٍ
ويعلن جَهْراً : هنا الشّامُ ..
يا أيّها القارئونَ لفاتحةِ المجدِ
يا أيّها الحالمونَ بعاصمةِ الوردِ
قولوا إذا جفَّ عين الكلام :
هنا الشّامُ
والغوطةُ البِكرُ.والفجرُ والطهرُ
والسّلمُ والحربُ والحرفُ والصّرفُ
والقلبُ مَهرُ ..
هنا العمرُ
تهدي إلى الياسمينِ الدمشقيّ
ألفَ سلامٍ وألفَ غرامْ ..

* هنا الشّامُ
قلبُ اليسوعِ يقومُ
وظلُّ الإله يحومُ
وبحةُ نايٍّ تَسيلُ
وفوحُ خُزامْ ..
هنا للعروبةِ ضِرعُ
هنا النبعُ ..
والحبُّ والخيرُ والزّهرُ والطّيرُ
والشّرع ..
شرع الإخاءِ وشرعُ الحوارِ
وشرع السّلامْ..
فَهلْ دونَ ذلكَ شَرْع ؟!

* هنا الشّامُ
فيها دُعاءُ الرسولِ
وفيها صهيلُ الخيولِ
وسيفُ الوليدِ وماضٍ مجيدٍ
ورمحٌ على قاسيونَ يطلُّ ..
كشلّالِ عطرٍ على جبهةِ المجدِ
- حيثُ الرّجالُ الرّجالُ - يَهلُّ ..
هنا الشّامُ
تعلنُ أنَّ جهاتِ الفؤادِ
بسبعةِ أبوابِها
الطيّبونَ لهمْ وحدهمْ أنْ يمرّوا..

* هنا الشّامُ
أمٌّ.. تسامحُ .. تعفو
وفيها النّفوسُ البريئةُ تصفو
يعانقُ فيها الصّليبُ الهلالْ
مثالُ الإخاءِ
فريدُ المثالْ ..
* هنا الشّامُ
من لا يحبُّ الشآمَ
عدوُّ الحياةِ.. عدوُّ الجمالِ
عدوُّ النّهارِ... عدوُّ الكِرامْ ..

ليل فاتنتي

غالب جازية

يا ليلُ مَنْ خلّاك في بالي
إنْ عُدتَ هاج ِالشّوق ُللغالي
وشّيتَ شَعري والصّبا ولّى
بالله هل ُخبّرتَ عن حالي
يا ليلُ هل ُخبّرتَ فاتنةً
أحْيَتْ بلون ِالحبّ ِآمالي
عُمري لها مَهْما الزّمانُ جفا
بالرّوحِ أفديها وبالمالِ
تلكَ التي تَحيا بذاكرتي
وأنا القتيلُ بِجمرِها القالي
هلْ صُنتَ ياليلَ النوى وجعي
أمْ أنّكَ الواشي بأمثالي
لم تُبقِ شيئاً أستردّ ُبهِ
أحلى هوىً مِنْ كيدِ عُذالي
دَعْني إذاً في ثغرِ قارئتي
صوراً تليقُ بِقَدرها العالي
وَلْتتركِ العنّابَ يرشفني
علَّ الهوى يرنو لإقبالي
يا لوعةَ الذكرى إذا اشتعلتْ
مِنْ ظَهرِ أحمالٍ وأثقالِ
مَنْ كابدَ الأشواقَ يعرفُها
نارُ الصّبابةِ ما لها والِ
يا ليلُ خَفِّفْ مِنْ لواعجِنا
فالحبُّ سارٍ والجَوى سالِ
سَمّيتُ اسمي باسمِ ساكنتي
حتى غدتْ بالحبِّ أسمالي
إنّي و إنْ أخفيتُ من قمري
يبقى الحبيب بمهجتي الغالي

وعدٌ..كلما تبرعم احترق

محمد توفيق يونس

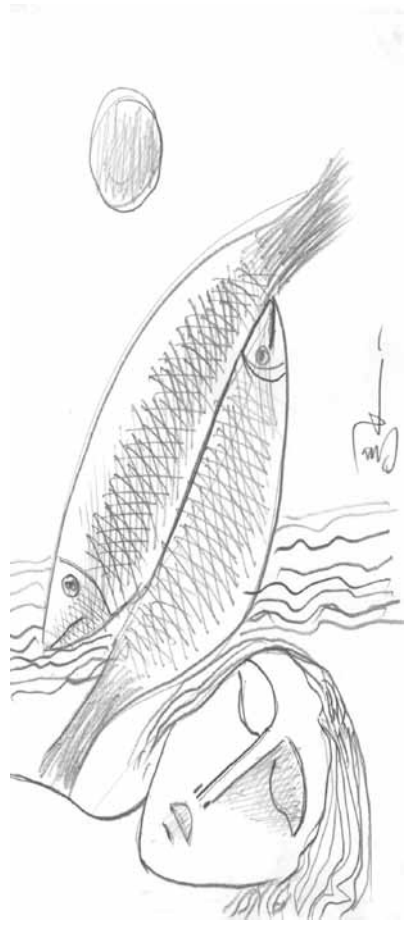

لا ليلٌ يتفتحْ
ليبتهجَ الطيفُ
في أعشاشِ النهارْ
ولا كلامٌ يتبعُ صداهُ
ليمسكَ الضوءَ
في اللا حلمْ
وحدَهُ الحنينُ
يتوسدُ آلامهُ
(وما في الجُبةِ غير المشاهدة).
أتراهُ الحبُ
دليلُ الوهمِ؟
ولماذا أعرف من أنا؟
ولا أتوهج في ظلي ؟
وأجيء مطراً أبهى
وابتكرَ لنهاري شمساً آخرَ
كي أصيرَ فيكِ
أكثرَ مايأخذه هذياني مني.
لماذا أذعن لجسدك
الخارج من بين الغيوم ؟
وفي كلِ فضاءٍ
أنتظرُ وعداً
كلما تبرعمَ – احترق .
وإلى متى إذن،
كل طيف ورق ؟!

أماكن

علي الشاويش

في اللاذقيّة
ـ 1 ـ
على أوتوستراد الثورة،
القلب يزداد خفقاناً، كما في قفص الحبّ،
وأنا أعبر الشارع الذي يمضي متصاعداً،
من دوّار البحريّة باتجاه الشمال.
ـ 2 ـ
أدّيتُ أدواري الرديئة،
كما الرجال في كلّ العصور.
لكنها دعتني إلى غرفتها المملوءة بالقُصاصات،
بعدما التقينا على غير موعد،
في الشارع الصاعد باتجاه الشمال.
ـ 3 ـ
الياسمينة خلف باب غرفتها،
تُعلّق نجومها البيضاء على عينيّ:
«محمود درويش، ماركيز، أدونيس، نيرودا»
كأنهم في لوحة إعلانات الجامعة.
ـ 4 ـ
هناك على القصاصات،
قرأتُ نتائج امتحاناتي التي رسبت فيها جميعاً.
ـ 5 ـ
كلّ شيء كان في مكانه،
حتى فنجاني القهوة،
اللذين تسلّلا من بين يديها
إلى الطربيزة العتيقة.
ـ 6 ـ
كم كنتُ مأخوذاً بكل شيء كالبُلهاء.
وكم كانت ساكنةً كقهوتنا،
وكأنها تحتضر بكلّ وقار، وبكلّ هدوء،
ثمّ ترحل باحترام باذخ!

مسافة
أمسِ،
طرقتْ بابي الذي يبعد عن مدينتها 300كم،
لم تُصافحني،
لم تُعانقني،
أخذتْ عتبة الدار كرسياً لها،
وتدثّرت بحُزن قهوتنا، المن دون هال

ثقوب
ـ 1 ـ
أشياؤكِ الصغيرة، المرميّة بجانبي،
تسلّلت في الليل إلى حقل القصب.
ـ 2 ـ
هذا الفجر،
راعي قريتنا كان بديعاً؛
فثقوب نايه، نُحتت من دبيب الذكريات.

شارع هنانو
ـ 1 ـ
في اللاذقيّة،
قرب ساحة الشيخ ضاهر،

أعبر شارع هنانو إلى منتصفه،
ثمّ أجلس على الرصيف،
بجانب العرّافة التي تطلب النقود منّي أولاً.
ـ 2 ـ
كم يحلو لي أن أمارس الأشياء التافهة،
لأغدو صديق اللامبالاة الجميلة.
هذه اللامبالاة التي كمثل لوحة لسلفادور دالي.
ـ 3 ـ
الزمن الذي يسيل،
أجده في صوت العرّافة واثقاً هادئاً.
ـ 4 ـ
نهر الناس المتدفّق في هنانو،
يلفحني متموّجاً من كلّ الاتجاهات،
وأنا مطمئنٌ بالصلوات التي تُرسلها الحِسان إلى جلستي المتصابية،
ـ 5 ـ
«خدمة الرسائل الصوتيّة».
«خدمة الكاشف ولو خطّك مغلق».
«خدمة ظهور رقم المتّصل، وجِهازُك خارج الخدمة».
خيارات أتنفّسها مع الهواء،
لكنّ أقنعة التكنولوجيا لا تغري أمثالي.
ـ 6 ـ
هناك في مكان بعيد، ينوجدُ إنسان،
أناديه عبر جهاز الموبايل،
وهو يبتسم من مكان قريب،
من غير أن يستجيب.
ـ 8 ـ
أتركُ خطوط يدي، وكلّ ما أملك بين راحتيّ العرّافة،
أنهض وأمشي مُغمضاً؛
فلا أحد في حاجة إلي،
وسط هذه العيون البراقة التي تثقب الهواء.
شيبس
ـ 1 ـ
تأخرتُ عن ظِلّك الافتراضي؛
كان عليّ أن أتوضّأ قبل أن أفكّ أزرار وعُرى الكي بورد.
ـ 2 ـ
على صفحات شجرة الكينا التي تمزّين من صوبها،
احتشدت عصافير الدوري، وكأنها في بهو البرلمان.
ـ 3 ـ
الساحة خلت من زعيق الأولاد،
وقد سمعوا موسيقا الشيبس،
وأنت تدوسين أوراق تشرين.
ـ 4 ـ
تتبّعتُ أثركِ طويلاً طويلاً؛
فقد كان عليّ أن أضمن فيزياء الركعة الرابعة كاملة.

الأسئلة الشيطانية

جرجس حوراني

1:

ذلك الحين، كنت أفكر كيف أصارحها بحقيقة مشاعري. لقد حان الوقت كي تعرف عشبية العينين بضحكتها التي تشبه رغيف خبز يخرج تواً من التنور، أنني أحبها. فكرت كثيراً من دون جدوى، ولم امتلك الجرأة كي أسأل والدي لسببين:

أولاً: سيرفض حكاية العشق التي دهمتني الآن. وسيقول لي: التفت إلى دروسك، أنت الآن على أبواب امتحان الشهادة الثانوية. وثانياً: لأنه سيقول لي لا أعرف. هذه هي عادته. لقد سبق وسألته: لماذا يسمونه الأعرج مع أن مشيته لا عيب فيها، قال لي: لا أعرف، لكن في ضيعتنا سرعان ما تختفي الأسماء التي تعبّ الأهل في اختيارها، لتحل محلها الألقاب السيئة غالباً.

أضحك وأسجل على دفتري هذا السؤال: كيف سأخبرها أن قلبي يحترق كل ليلة ألف مرة قبل أن يعطف عليّ ملاك النوم؟.

2:

السابع من كانون الأول... تحولتُ بغمضة عين إلى رجل مهم ، يشغل الضيعة كلها. وربما كان هذا بداية الطريق إلى قلبها. كان ذلك مساء، حيث عقدت الدبكات، وراح كل راقص يوهم الناس أنه إن ضرب الأرض بقدميه فجّر ينابيع الماء.

هنا في بيتنا كنت أسمع خبط أقدامهم، وكان قلبي يتفتت. لم أحتمل، فخرجت من الحمام مسرعاً غير عابئ بنصيحة أمي التي دعتني للبقاء ليجفّ شعري. كنت أفكر تلك اللحظة أنني لابد أن أجدها في عرس الأشيب. ربما بادلتني النظرات والضحكات. ربما أمسكت يدها ورقصت إلى جانبها. هربت من البيت مسرعاً من دون أن تراني أمي، لكن صوتها كان يلاحقني: عندما تعود سترى...

3:

الآن أنا في ساحة الرقص، أقف قريباً. أنتظر أن تحتويني بعينيها، لا بد أن تراني جميلاً. أمي تقول: وجهك مثل القمر. أبي يقول: تشبه المقنع الكندي.صديقي في المدرسة يحسدني، لأن كل البنات ينظرن إليّ كما يقول.

نظرتُ إليها. نظرتْ إليّ. ضحكتُ. ضحكتْ. بعد ذلك صار الجميع ينظرون إليَّ ويضحكون. ثمّ تحوّل العرس إلى مأتم. اقترب مني الشبان وقالوا لي: اذهب إلى بيتك. ضحكتُ، وقلت لهم: بدأ الحسد إذن. لكنني لمحت في عينيها شيئاً يشبه الرعب. بدأ الخوف يتسلل إلى صدري. سجلت في ذاكرتي هذا السؤال، سأدونه في دفتري مساءً: لماذا تحول الرقص في عينيها إلى ساحة للبكاء؟

اقترب والدي مني، شدني من يدي بقوة وقال لي: هيا إلى البيت. نسيت نفسي في عينيها، عندما رحلت مع والدي الذي كان يشدني إليه كمن يخاف أن أهرب منه.

في البيت وعندما لمحتني أمي ضربت بيدها على صدرها، وراحت تبكي. وقتها عرفت توّاً أن شيئاً خطيراً قد حدث. نظرت في المرآة، أطلقت صرختي.

سجلت على دفتري: لماذا انحرف فمي إلى الجهة اليمنى؟

4:

هنا في الضيعة صار حديث الناس أن الشيطان ركبني. سجلت في دفتري: هل يستطيع الشيطان أن يركب إنساناً؟! لكن لا أنكر أن الخوف بدأ يعشش في صدري. ابتعدت عن الكتاب. أمي كانت تركع أمام كل الصور المعلقة في بيتنا، وتصلي كي تطرد الشيطان. كنت أسمعها تتحدث مع والدي كل مساء وتقول له: ستضيع منه الشهادة، افعل شيئاً. لكن والدي لم يفعل أي شيء سوى التدخين.وبدأ يزورنا الخوري مسعود ويصلي لي. قال للجميع: إنه الشيطان. سبعة أيام وسيرحل. لكن الأيام السبعة مضت ولم يرحل هذا اللعين. وشيئاً فشيئاً بدأت أخاف من الشيطان، وبدأ يطاردني كل ليلة.

5:

الجميع بدأ يهتم بأمري. حضر أبو كامل وهو من كبار رجال الضيعة. تكلم مع والدي على انفراد. ثم بعد الغداء ركبنا العربة الخشبية العتيقة واتجهنا نحو الشمال. كنت أشعر بالمتعة والسعادة، حتى إن النعاس سيطر عليّ، وأغفيت بسرعة على أنغام تلك الموسيقى التي كانت تصدرها دواليب العربة، وتلك الهمسات والوشوشات التي كانت تدور بين والدي و«أبو كامل». استيقظت عندما وصلنا إلى مكان مرتفع محاط بأشجار السرو، وعلى قمته كوخ. كان الرجل الملتحي الذي ربت على كتفي لطيفاً، ووجهه يدعو إلى الطمأنينة. فرك خدي سبع مرات، وقال لهم: هذا فعل الشيطان. لا تخافوا. سبعة أيام وتنتهي المشكلة. ثم بعد أن شربنا الشاي أعطاني ورقة ملفوفة بالصوف، وقال لي: ضعها تحت رأسك سبع ليال.

مساء سجلت في دفتري: لماذا أنا من دون كل الناس لحقني هذا الشيطان؟.

6:

مضت الليالي السبع وما زال الشيطان يركب هذا الجسد النحيل. صحتي بدأت تتدهور، لم أعد أشعر بشهية للطعام. والدي صار سريع الغضب، وأمي دائماً تبكي. وبدأنا نشعر أن الناس يقاطعوننا. حتى إن البعض اقترح أن نترك الضيعة. لأن من ركبه الشيطان كل هذه المدة لا بد أن يأخذ من طباعه. لكن زيارة (أبو نوري) أعادت لنا الأمل.إنه رجل محترم من قبل الجميع؛ لأنه من أوائل الذين دخلوا الجامعة.

- ماذا حدث... سأل وهو يرمي عقب سيجارته.

- كما ترى، ركبه الشيطان.

- أي شيطان يا رجل... هذه مشكلة طبية وليست مشكلة شيطان. هيا معي.

وركبنا في سيارته الفولكس الحمراء. رحلة ممتعة ثانية. كانت السيارة تمضي مسرعة. أبو نوري يحدث والدي عن فكرة جمع تبرعات من الأهالي لبناء مستوصف في الضيعة، ووالدي يشكره على اهتمامه. أما أنا فكنت أراقب الطريق فرحاً. حتى إنني أغفيت مستنداً على زجاج النافذة.

في عيادة الطبيب، كان الوضع مختلفاً. انتظرنا طويلاً قبل أن يأتي دورنا. دفع أبو نوري المعاينة. قال لوالدي: لا تنس أريد همتك في انتخابات البلدية. والدي قال له: على رأسي.

الطبيب قال: لقد تأخرتم. في الأحوال كافة. سبع حبات، وتنتهي المشكلة.

مساء سجلت في دفتري: لماذا دائماً كلمة سبعة؟

7:

حبتان فقط، وعاد وجهي كما كان. وبذلك انتهت قصتي. لم أعد أشغل حديث الضيعة. الأهالي انقسموا: البعض قال: يا أخي الطب شغلة كبيرة. والبعض قال: لا تصدقوا. إنها صلوات أمه المسكينة.

سجلت في دفتري: هل شفتني الحبات السبع أم صلوات أمي؟

كان هذا آخر ما سجلته في دفتري الصغير، لأنني بعدها لم أجد الدفتر، بحثت عنه طويلاً دون جدوى.

أمي قالت لي: تعلمْ أن تفكر بقلبك لا بعقلك.عرفت وقتها أن أمي وراء اختفاء الدفتر

صَباحُ الطِّيْب

إسماعيل ركاب

هَفْهَفَ الثَّـوبُ على بَـانِ الإهـابِ
وصَباحُ الطِّيبِ دَقَّ الآنَ بابي
قَفَزَ القَلـبُ.. كطِفلٍ راحَ يَعـدو
قُلتُ: يا قَلبُ اتَّئِدْ فيما التَّصابي؟!
قـال: دَعْني فَعلى البابِ حَبيـبٌ
ها.. يعودُ الآنَ مِنْ بَعْدِ اغْتِرابِ
ومَضى تَسْبِقُهُ لَهْفَةُ عِشْقٍ
شَعْشَعَتْ ما بينَ أرضٍ وسَحَابِ
نَثَرَتْ قَطْرَ النَّدى في كُلِّ صوبٍ
زَنْبَقَتْ كُلَّ البَوادي والهِضابِ
ومَحَتْ ظُلمةَ كابوسٍ مَقيتٍ
صَيَّرَ الدُّنيا خراباً بِخَرابِ
وتَبِعْتُ القَلبَ نَشوانَ أُغنِّي
يا تُرى مَنْ عادَ لي بَعْدَ الغِيابِ؟!
أَأنا في حُلُمٍ، أمْ أنَّ ليلى
عَلِمَتْ مِقدارَ حُزني واكْتِئابي
فأتَتْ مُسْرِعَةً ترفو جراحي
وتُعيدُ النَّبضَ للقلبِ المُصابِ؟!
يا إلهي.. انْبَجَسَ الماءُ غزيراً
مِنْ ينابيعِ القُرى بَعْدَ اقْتِضابِ!!
وعلى مَدِّ اشْتِهائي مَدَّ غيمٌ
وابْتَدا هَطْلٌ على يَبْسِ الرَّوابي
زَغْرَدَ الوادي، فَمِنْ وَقْتٍ مَديدٍ
لَمْ يَذُقْ طَعْمَ هُطولٍ وانْسِكابِ
غَرَّدَ المِحْراثُ في تُرْبِ الأراضي
فاسْتَفاقَ البَذْرُ مِنْ تحتِ التُّرابِ
وشَدا الطَّيْرُ مواويلَ ابْتهاجٍ
وحُقولُ القَمْحِ جادَتْ بالجوابِ
وكُرومُ التِّينِ قالتْ للدَّوالي
هَيِّئي أَشْهى نَبيذٍ للخَوابي
وحُروفُ العِشْقِ فاهَتْ بالقوافي
والعتابا والأهازيجِ العِذابِ
وكؤوسُ الرَّاحِ راحَتْ بانْتِشاءٍ
تُشعِلُ الفرحَةَ في قلبِ الصِّحابِ
وأنا عُرسٌ بِداري، واحْتفال
زاخِرٌ بالطِّيبِ والشَّهْدِ المُذابِ
يا لقلبي طارَ مِنْ هَمْسَةِ عِشْقٍ
واسْتَعادَ النَّبضَ أو عِزَّ الشَّبابِ!!

قصص

قصيرة جدا

نصر اليوسف

1
تمثال الموت

في ساحة موحشة صنع فنان تمثالاً للموت بأسنان دموية.
قال الفيلسوف :
- يا للعار!! تشعلون الشموع تكريمًا لتمثال الموت الكريه!!!
أجابت امرأة انتهت تواً من نفخ نار بخورها :
- لأنه رمز العدالة والمساواة الوحيد في هذا العالم..
تقدم الفيلسوف، وقبل يد التمثال لتستمر عدالة ما في التنفس.

2
حادثة انتحار

« لا تنزلق عيناك فوق صدر امرأة ، ولا ترتفع يداك إلى شعرها »

- فهمت عليك. أجل.
- ها قد منحتك تسعًا وتسعين جوهرة في عقلك. تسعا وتسعين وصية، بها فقط تصير إنسانًا كاملا.
- وبغيرها لا أستحق لقب إنسان سوي ؟
- أنتظر قرارك النهائي لأتوجك بالموعظة المئة... قرارك الأخير بني.
- لقد قررت إذاً أن أنهي حياتي.

3
الخطوة الخطرة

الفصل الأول
طبع على جبينها الفضي خاتمه الأبوي الذهبي :
- حذار من تلك الخطوة الخطرة التي تُسقِط الفتاة في شراك الحب الخادعة.
- قرأت عنها كما أمرتني، وحفظت تفاصيلها كما اسم أمي.
الفصل الثاني
على رمال الشاطئ المخضلة بكلمات الحب نظر الفتى الخجول إلى عينيها المخضلتين بندى الرمال، وقال :
- لم تستفيدي من تعاليم الخطوة الخطرة، فها نحن في كهف سلة الحب المزهرة.
- استفدت كثيرًا.. لقد طبقت ما فيها لأوقعك في سلة شيطاني.

4
العالم الشرير

من مكتبه على الأرض، راقب الجرذ على سطح القمر، وسجل ملاحظاته اليومية :
- عطس الجرذ مرتين وشرب ثلاثا وبال مرة واحدة.
ثم حسب تأثير ضغط الفضاء على الخلايا الحية، وطبق ذلك على حساب الصواريخ في الفضاء.
- لم تذهب تلك المليارات سدى.. لم يعد يصعب علينا شيء، ولا تخفى علينا خافية.
-.. ألو..
أخبره أخوه بموت والدته بمرض خفي على الطب علاجه، وبصق بوجهه، ثم أغلق الخط.

5
إصدار حديث جدًا

(مسرحية الرصاصة) آخر إصدارات إحدى المجلات العالمية.. لذلك قادته خطواته إلى الكشك وسط المدينة.
استقبله الحطام الذي كان كشكا ، والمسرحية التي صارت رمادًا.
رأى رصاصة كبيرة عالقة في الحائط الملاصق. أخرجها وعاد برصاصته.
تمعن فيها كثيرًا، وقلبها مرات ومرات، لكن لم يستطع فهمها أبدًا...

كاتب

إياس الخطيب

دخـلَ كعادتِهِ إلـى المكتبة, استقبلتْهُ بوجهِهَا الشَّاحِب, وابتسامةٍ يائسةٍ خَطَّتْ ملامحَها, رفعَتْ لهُ حاجبيهَا, هزَّ رأسَهُ مُعبِّراً عن خيبةِ أملٍ جديدة, دارَ في مكانِه, وخرجَ على أملٍ رُبَّما يلقاهُ يوماً..

كانَتْ لحظةُ سعادَةٍ غامرة عندما أصدرَ شكيب كِتابَهُ الأوَّل, طارَ فَرَحَاً, وبدأ الأملُ يرسُمُ طريقاً فسيحاً أمام مقلتيه, (ستتلقَّفُنِي الصُّحفُ مِنَ الآنِ فصاعِداً, سيملأ اسمي الجرائِدَ والمجلاَّت, ستتهافَتُ وسائِلُ الإعلامِ لإجـراءِ المُقابلاتِ معي, سيلفُّنِي المُعجبُون ويطلُبُونَ مِنِّي التَّواقيع, سأجني المال, سأحصُدُ الشُّهرة, سأسافِرُ لحضُورِ ندواتٍ وإجـراءِ أمسياتٍ ومحاضرات, ستتناقلُ الشَّاشاتُ المرئيَّةُ أخباري, ستُسلَّطُ عليَّ الأضواءُ في حلِّي وترحالي, سأصبحُ حديثَ النَّاس..)

أصبحَتْ كُلُّ تلكَ التوجُّساتِ تُراوِدُ بالَ شكيبٍ في الأيَّامِ الأولى لصُدُورِ كتابِه, والكثيرُ مِنَ الأحلامِ زارتْهُ ذلكَ اليوم, مرَّتِ الأيَّامُ وبدأتْ أحلامُهُ بالتَّبخُّرِ شيئاً فشيئاً, كأوراقِ شجرِ الخريف المتساقطةِ الواحدةَ تلوَ الأخرى, وراحَتْ آمالُهُ وأمنياتُهُ تذوبُ كلوحِ ثلج وُضِعَ تحتَ أشعَّةِ الشَّمس, ولم يقوَ شكيب على فعلِ شيءٍ, سوى وضعِ كِتابِهِ في إحدى المكتباتِ التي وافقَتْ على عرضِ نتاجِهِ الأدبي, وصارَ همُّهُ الشَّاغل, أن يُباعَ ذلكَ الكتاب..

أخذَ يزورُ المكتبةَ بينَ الحينِ والآخر, والتفاؤلُ يُحوِّمُ فوقَ رأسِه كسربِ حمامٍ ملأ السَّماء, قبلَ أن يتلاشى ذلك السِّربُ رويداً رويداً, كانَ يدخلُ المكتبةَ عادةً, يتبادلُ الحديثَ مع البائعة, يسألُها إن بيعَ كتابُه, تُشيرُ لهُ بالنَّفي, ويذهب.. وبعدَ حين, أصبحَ يدخُلُ المكتبة, وقبلَ أن يتفوَّهَ بكلِمَةٍ واحدة, ترفعُ لهُ بحاجبيهَا, يشحُبُ لونُ وجهِه, وينصرفُ صامِتاً, يُعينُهُ في مشيتِه, بصيصُ ضوءٍ خافِتٍ ظلَّ مُتمسِّكاً بهِ, واستمرَّ الكاتبُ التَّائِهُ على حالِه, إلى أن أتى ذلك اليوم..

دُعِي شكيب إلى سهرةٍ أدبيَّة, رُبَّما بطريقِ الخطأ, ولم يكُنْ في وسعِهِ إلاَّ أن يُلبيَ النِّداء, انتظرَ حُلولَ المساءِ بفارغِ الصَّبر, ارتدى ما يستُرُ بهِ جسدَهُ النَّحيل, وانطلق..

دخلَ المركزَ الثَّقافي, جلسَ في الصَّفِّ الخامس, عرَّفَ مديرُ الأمسيةِ بالأدباءِ الَّذين بدؤوا يتناوبُونَ على صُعودِ المِنصَّة, لإلقاءِ ما جادَتْ بهِ بُنيَّاتُ أفكارِهم.. وفي لحظةٍ عابرة, مرَّ شكيب بنظرِهِ على الحُضُور, وإذ به يلحظُ ذلِكَ الشَّخص, ثبَّتَ نظرَهُ قليلاً, لكِنَّهُ لم يُكنْ مُخطِئاً, إنَّهُ هُوَ, ومن غيرُه, ذلكَ الفنَّانُ والأديبُ المشهور الَّذي ملأ اسمُهُ الصُّحُفَ والمجلاَّت, لم يتردَّد شكيب في إشعالِ الفكرةِ في رأسه, سيتعرَّفُ عليه, يُصافحُه, يُقدِّمُ لَهُ نفسَهُ, ويمدُّهُ بكتابِهِ الَّذي مضى على إصدارِهِ أكثرَ من خمسِ سنوات, يمهرُ توقيعَهُ, يخطُّ إهداءً يليقُ بهذهِ القامةِ اللَّامِعة, ويُغادِرُ مَزهوَّاً بما فعلَهُ..

(ستكُونُ فرصةَ العُمر يا شكيب, لا شك وأنَّ هذا الأديبِ الكبير, سيأخذُ بيدي, وسيُحقِّقُ ليَ ما أصبو إليهِ منذُ زَمَنٍ بعيد, سيرفعُ من شأنِي معنويَّاً, ورُبَّما بعدَ ذلكَ ماديَّاً, سينقلِبُ حالي رأساً على عَقِب..)

قالَ ذلِك وأكملَ يُخاطِبُ نفسَهُ: (آه, لكنِّي لم أحضرْ كِتاباً مَعي, ما عسايَ أن أفعلَ الآن..؟)

ضاقَ ذِرعاً, قبلَ أن يُكمل: (ماذا سأفعل, المنزلُ بعيدٌ مِن هُنا, ورُبَّما إذا ذهبْتُ لأجلِبَ الكِتاب, أن أجِدَهُ مُغادِراً عِنْدَ عودتي..)

بدأ يتخبَّطُ حيناً, ويُكلِّمُ نفسَهُ حيناً آخرَ: (لا بد وأن أُهدِيه كتابي, إنَّها فرصتي الَّتي لن تتكرَّر رُبَّما, لا.. لن أفوِّتَ هذه الفُرصةَ على الإطلاق, لكن..؟)

لم يَطُلْ شُرودُهُ عِندَما تذكَّرَ ما كانَ عليه أن يتذكَّرَهُ منذُ البداية, قفزَ مِن مكانِه, نزلَ الدَّرجَ مُسرِعَاً, سابقَتْ خطواتُهُ الرِّيح, اقتربَ مِنَ المكتبةِ المحاذيةِ للمركز, دخلَها برعُونة, استقبلتْهُ البائِعة نفسها, لكن هذهِ المرَّة بابتسامَةٍ جَذلَى, وعُيُونٍ فرِحَة, وقبلَ أن ينطُقَ بحرفٍ واحد, بادرتْهُ القول: مبروك يا شكيب, لقد بِيعَ كتابُكَ اليوم, وتحقَّقَ ما كُنْتَ تصبو إليه, هذهِ نقودُك, بعدَ أنِ اقتطعْتُ نسبتِي منها.. تهانينا..

بحلَقَ شكيب بالبائعة, رُبِطَ لسانُهُ ولم يقوَ على قولِ شيء, اصفرَّ وجهُه, عقدَ حاجبيه, تمنَّى لو باستطاعتِهِ أن يصرخَ بأعلى صوتِه, إلاَّ أنَّهُ اكتفى بأخذِ النُّقودِ بأسىً, من دُون أن يتفوَّهَ بكلمةٍ واحدة, وخرجَ مكسورَ الخاطِر, يجُرُّ أذيالَ الخيبة, وسطَ سُكُونٍ لفَّ المكان بأسرِه..

تنهَّدَتِ البائِعةُ تنهيدةً طويلة, وقالَتْ: وها قد تخلَّصْتُ من الأديب شكيب, وكتابِ شكيب, لستُ حزينةً لِأنِّي دفعْتُ مبلغَ الكِتابِ مِن جيبي, سأعتُّهَا حسنةً عنِّي وعن أولادِي, المهم أنِّي ارتحْتُ الآنَ وإلى الأبد, وتمكَّنْتُ مِن زرعِ الفَرحِ في قلبِه.. نظرَتْ نظرةً أخيرةً إلى كتابِ شكيب المُعفَّر بالغُبار, أغلقَتْ عليه دُرْجَ مكتبةِ المُستودع بإحكام, أطفأتْ نورَ المكتبة, وخرجَتْ فَرِحةً بعملِها العظيم..!

أمنية

ترجمة : موريس جلال

من أجل بؤبؤَيك والجمال
أودّ سهلاً من السهول
وغابة على خضار وأزاهير
غابة بعيدة نائية
غابة عذوبة يانعة
لدى هاتيك الآفاق النائيات
تحت زُرقة سماوات صافيات
أو لدى البعض مِنَ التلال
لها جمّ من الانحناءات
وهي على رقة وجمال
وعلى لدونة وتؤدة هادئة
وكأنها خطوط بخارية مائعة
إذّاك تغدو تذوب
في ذاك الهواء العذوب
أو في رقة التلال
أو غابة على جمال

*

وبراحاً أود منك المزيد
لكي يبلغ إلى أذنيك كما أُريد
صوت الامواج العظيم
وتارة تسمعينه مخنوقا
وتارة مُتشكيا رقيقا
كما يكون الحب متذمرا
وتارة على قرب منك دان

Henri de Regnier

في فترات تلبث متبعثرات
ويرن في سمعك الرهيف
على قرب منك دان
هديل زغلولٍ من الحمام
في صمت سكين بالتمام
وعلى هديل رقيق لطيف
كما هو الحب العفيف
وعلى ظل أوراق لها حفيف
إذّاك يرقى إلى أذُنيك
خرير مياه منبجسات
ليست قريبة منك

*

كما أودّ ليديك
باقة زهر وورود
كما أودّ لقدميك
درباً ضئيلا
خضيرًا أومُرملا
ويغدو تارة على صعود
وتارة يصير على هبوط
وتارة أخرى يتعرّج أو يدور
وكأنه يمضي بكل رفيق
إلى صمت عميق
وهو درب يبقى ظليلا
وبراحاً خضيراً أو مُرملا
حيث تدع خطواتك
آثاراً من قدميك
كما من قدميّ

هذا الرجل

حسني هلال

يعتّق
هنيهات أفراحه النادره
ليقطرها
في عيون أيامه الحزينه..
يلملم
أوراق إخلاصه الحزينه
ينعشها برائق توقه
ويحفظها
عرابين وفاءٍ
لصداقات مؤمله..
هذا الرجل
يقوت روحه
يزهر تويجات الجمال..
يغذو يرقة فكره
بأوراق توت الفنون..
يلهي جسده
بعفص خضار الألم..
ويذرف عمره
في
كؤوسٍ
من
قلق..

بمناسبة اليوم العالمي لحقوق الإنسان /تتمة/

المفوض السامي الجديد، وأرسلته إليه.

وشاءت الظروف أن أكون في جنيف أواخر تشرين ثاني 2002، بصفتي عضواً في مجموعة خبراء بشؤون المتحدرين من أصل أفريقي. استقبلني السيد دي ميلو صباح الثلاثاء 2002/11/26. لن أنسى دماثته حين بادرني بقوله: لولا أن حظي أفضل من حظك لكنت أنت الآن من يستقبلني في هذا المكتب.

شكرني على التهنئة والمقال واستوضح عن حلف الفضول. أعطيته ما لديّ. وصلني في اليوم نفسه نص الخبر الذي نشره عن زيارتي له وقد ورد به عن الحلف ما يلي:

" بحث الدكتور جبور مع المفوض السامي مسألة حقوق الإنسان في الأقطار العربية، واستعاد بخاصة أطروحته التي تقول إن أبوية فكرة حقوق الإنسان إنما تعود إلى العرب الذين أنشؤوا في مكة حلف الفضول.

كذلك رأى الدكتور جبور أن إدراج فكرة حقوق الإنسان في التراث العربي أمر بالغ الأهمية، وأن على الأنظمة العربية الاهتمام بحقوق الإنسان، وأن إحياء حلف الفضول يساعد بالتأكيد على دعم ثقافة العرب في حقوق الإنسان".

ثم إن السيد دي ميلو أصبح، بعد غزو العراق في شباط 2003 ، مسؤول الأمم المتحدة هناك. وبهذه الصفة الإضافية زار دمشق في آب 2003، قبيل اغتياله باسبوعين. اتصل بي هاتفياً في أثناء زيارته، وذكر لي أنه سيشير إلى حلف الفضول في رسالته القادمة بمناسبة يوم حقوق الإنسان، بعد أن أبلغه صديقاه الغسانان (والتعبير له) احترامهما لي وللفكرة. أما الغسانان صديقاه فهما الدكتور غسان أرناؤوط، المفكر السوري المقيم في جنيف، والدكتور غسان سلامة، وزير الثقافة اللبناني الأسبق ومعاونه في عمله في العراق. إلا أن القدر عاجل دي ميلو قبل ذلك اليوم.

تولى مهام المفوضية السامية بالوكالة بعد وفاة دي ميلو نائبه، إلا أنه لم يفز بخلافته. خلفته كندية لا يحضرني اسمها وقت الكتابة، وقد اشتهرت من خلال عملها في القضاء الجنائي الدولي. حين قابلتها لأول مرة وحدثتها عن حلف الفضول كانت إجابتها ذات دلالة فاضحة. قالت:

" ما موقف جامعة الدول العربية مما تدعو إليه؟ هل أصدرت الجامعة ما يشير اعتبارها الحلف أول هيئة لتنظيم الدفاع عن حقوق الإنسان في العالم إلى أن يثبت العكس؟"

وكان في عداد إجاباتي سؤالها أن فقهاء حقوق الإنسان عندنا هم في الغالب من أسرى الغرب فكرياً. فإذا لم يشهد الغرب – والأمم المتحدة رأسه – لحلف الفضول فلن تتملكهم شجاعة الشهادة له.

كنت في زياراتي لمبنى المفوضية السامية ألتقي دائماً بمسؤول البلاد العربية. من حسن حظي وحظ حلف الفضول أن مسؤول البلاد العربية في عهد المفوض السامي الرابع (الكندية) كان مثقفاً من السودان هو الدكتور آدم عبد المولى. لعله كان أول عربي يشغل هذا المنصب في نطاق المفوضية السامية. تفهم الدكتور آدم فكرتي وتعاطف معها. في 2007/12/10 صدر بيان المفوضية السامية، وبه إشارة إلى الحلف في كلمات متواضعة. في عام /2008/ حدثني الدكتور آدم عن المناقاشات الداخلية التي واكبت صدور البيان، وعن دفاعه عن الفكرة، وعن الانتصار الذي تحقق. هو الآن المنسق العام لفعاليات الأمم المتحدة في دمشق. هل يروي لنا ذكرياته عن تلك المناقشات وهو بيننا، أم علينا أن ننتظر تقاعده – وهو ما يزال في شبابه الثاني – ليكتب مذكراته؟

ويبقى سؤال أخير: هل ورد ذكر حلف الفضول مرة واحدة فقط في وثائق المفوضية، هي بيضة ديك لم تتكرر؟ نعم في الأرجح. وللحديث صلة عن واجب التنقيح والتوسيع وعن ذكريات في صحبة عقدين مع حلف الفضول.

رئيس الرابطة السورية للأمم المتحدة

النشر الالكتروني وأثره في الحياة الثقافية.. ما مستقبل الكتاب الورقي؟ /تتمة/

في القراءة على مثل هذه الأجهزة والقارئات. ولعل المأخذ الرئيس على مثل هذه الكتب، رغم ميزاتها العديدة، تتمثل في أنها تعد كتبًا «جامدة»، وأنها تفتقر إلى حيوية الكتاب التقليدي.

ولهذا جاءت شركة آبل، بفكرة كتاب إلكتروني جديد، يطلق عليه اسم «تكست بوك»، يعد من الأنواع الجديدة في عالم الكتب الرقمية، التي تمكن القارئ لهذا الكتاب من التفاعل معه، كما لو أنه كتاب حقيقي؛ حيث يمكنك الكتاب الرقمي الجديد، من تظليل بعض الكلمات التي تريدها أو أن تضع الخطوط أسفل بعض الفقرات... كما أنه كتاب تقليدي، ولكن الفرق هنا، أن هذا التظليل لن يدوم مثل الكتاب التقليدي إنما يمكنك إلغاؤه.

ويمتاز هذا الكتاب الالكتروني، بأنه يأخذك خلال القراءة إلى العالم الذي تقرأ فيه، وذلك من خلال لقطات الفيديو والصور المتحركة التي تشرح لك جنباً إلى جنب فقرات الكتاب المتتالية، والتي ستسهل بشكل أكيد عملية القراءة، وتجعلها أمتع وأكثر استيعابًا لمن يقرأ مثل هذه الكتب. بالإضافة إلى أن أهم ميزات هذه الكتب الالكترونية، أنها قادرة على تحديث نفسها، وتعرف بالكتب التقليدية «النسخ»، التي تستلزم عمل إصدارات جديدة للكتب القديمة للتصحيح أو للإضافة على النسخ الأولى منها، وهو الأمر غير الضروري في كتاب آبل الالكتروني، لأنه وبمجرد ربط الجهاز بالانترنت، فسيكون الكتاب قادرًا على تحديث نفسه بنفسه، إذا ما دعا الأمر إلى ذلك.

أصبح الكتاب الالكتروني، أحد أهم سمات العصر الجديدة، التي يجب التعايش معها، والتكيف عليها، وإذا كنت اليوم قادرًا على الابتعاد عن هذا النوع من الكتب الالكترونية، فمن المؤكد أن طفلك لن يتمكن من الابتعاد عنها، لأنها «الكتب الالكترونية» ستكون خلال السنوات القليلة القادمة، أحد أساسيات التعليم الحديث، وستكون «الكتب الورقة التقليدية» عبارة عن مراجع ثانوية يتم صفها في أرشيفات المكتبات أو مخازن المدارس المتعددة.

النشر الالكتروني ودور النشر العربية

لا توجد في الوطن العربي شركة أو مؤسسة لتوزيع الكتب الالكترونية باستثناء بعض التجارب الفريدة لعدد محدود من دور النشر العربية، وهي خجولة إذا أردنا مقارنتها بدور نشر أوروبية، حيث توجد هناك شركات توزيع متخصصة توزع نحو ستين ألف كتاب يوميًا أو أكثر، توزعها على كُتبيات البلاد. والشخص الراغب في ابتياع كتاب إذا لم يعثر عليه في مكتبة المدينة أو القرية التي يعيش فيها، يمكنه الحصول عليه في اليوم ذاته، وفي حال تأخر ذلك، يمكنه الاطمئنان إلى أنه سيحصل عليه صباح اليوم التالي.

تواجه دور النشر العربية عوائق كثيرة أمام استخدام النشر الالكتروني؛ منها على سبيل المثال مسألة قرصنة الكتب والرقابة على الكتاب، إضافة إلى عدم تمكن القارئ من الحصول على الكتاب المطلوب عند صدوره، إلا بكلفة عالية جدًا. النشر الالكتروني يوفر فرصة للقارئ في مكان إقامته، من ابتياع نسخة الكتاب المطلوب خلال دقائق من صدوره.

لكن هناك ثمة تخوف لدى كثيرين من التعامل مع تقنية حديثة، كما حدث عند استخدام الهاتف النقال ومن قبله الحاسوب.

ان العائق الأول أمام انتشار الكتاب العربي الالكتروني مرتبط بنمط تفكيرنا، وبقدرة البعض على استخدام التقنية الحديث أو عدم قدرته على استخدامها.

فهناك من لا يستطيع استخدام الكمبيوتر حتى في القراءة بسبب مرضه أو ضعف بصره مثل كبار السن، ومثل هؤلاء سيفضلون دائمًا الكتاب المطبوع الذي يمكن أن يصطحبوه في غرفة نومهم بسهولة ويسر.

معوقات النشر الالكتروني العربي

يعدّ النشر الإلكتروني من أهم التقنيات المعاصرة التي تسهم في تعميم المعرفة وإيصالها إلى أي مكان في العالم، وقد فرضت الصحافة الالكترونية نفسها علي الساحة الإعلامية كمنافس قوي للصحافة الورقية، إضافة إلى ظهور الأجيال الجديدة التي لا تقبل علي الصحف المطبوعة.ومن أهم مميزات الصحافة الالكترونية نقلها للنص والصورة معًا لتوصيل رسالة متعددة الأشكال، والاحتفاظ بالزائر أكبر قدر ممكن حتى لا تتحول الجريدة الالكترونية إلى نسخة الكترونية من الصحف التقليدية، كما أن هناك مميزات للقارئ الالكتروني منها السرعة في معرفة الأخبار ورصدها لحظة بلحظة علي العكس من الصحف التقليدية.

لقد أصبح لثقافة الانترنت جماهيرها وشعبيتها، وهي في ازدياد علي العكس من قراء الصحف والكتب.والصحافة الالكترونية التي تشهد ميلاد مواقع كثيرة تواكبها زيادة في عدد زوارها, تستفيد من الأزمات التي تمر بها الصحافة التقليدية، ومن بينها الرقابة عليها ومنع بعض المواد الصحفية من النشر والأزمات الاقتصادية التي يمر بها الوطن العربي، مما دفع الصحف التقليدية الى الاهتمام بمواقعها الالكترونية على الانترنت وتحديثها بصفة دورية؛ فالغالبية من الصحف أصبحت تتجه الى الانترنت والإعلام الفضائي في ظل نزيف الخسائر الحالي, إلا أن الصحافة الإلكترونية لن تحل محل الصحافة الورقية مهما طال الزمن خاصة في عالمنا العربي؛ .فالنشر الالكتروني العربي مازال بعيدًا عن مجالات تطوير هذه التقنية التي يخشي من أن تجعل الثقافة العربية بعيدة عن التأثير والتأثر. فرغم أن الوسيلتين لا غنى عنهما في الوقت الحالي بوصفهما وسيلة من وسائل التثقيف؛ إلا أن هناك مجموعة من التحديات التي تواجه الصحافة الالكترونية في العالم العربي؛ من بينها تواضع نسبة عدد مستخدمي الانترنت العرب قياسًا إلى العدد الإجمالي للسكان في الوطن العربي, إضافة الى وجود ضعف في البنية الأساسية لشبكات الاتصالات؛ إضافة إلى بعض العوائق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية, ما أدى إلى تأخير في الاستفادة من خدمات شبكة الانترنت, وقد أثرَّ ذلك بشكل رئيس على سوق الصحافة الالكترونية.علاوة على غياب آليات التمويل في مختلف صورها؛ سواء أكان تمويلاً ذاتيًا أو بصورة إعلانات؛ حيث إن هناك حالة من انعدام الثقة بين المعلن العربي والانترنت بصفة عامة. بالإضافة الى أن نقص المحتوي العربي على شبكة الانترنت يقف وراء عدم انتشار الصحافة الالكترونية بصورتها الواضحة، كماهي الحال في الغرب, إضافة إلى عدد الصحف العربية المطبوعة علي ورق يفوق بكثير عدد تلك المتوافرة الكترونيا على الانترنت وعلى أقراص مدمجة.

مشكلة أخرى في عالم النشر الالكتروني تتمثل في مفهوم حقوق النشر والملكية الفكرية؛ فقد أصبح هذا المفهوم من أكثر المواضيع غموضًا وإبهامًا في حقبة النشر الالكتروني.

خاتمة

إن الكتاب لن يفقد أهميته على الرغم من وجود وسائل حديثة لضغط ونقل المعلومات؛ بل ربما تصبح هذه الوسائط نفسها تشجع على الاحتفاظ بأهمية الكتاب؛ حيث تبرز سهولة الاطلاع باستخدام الكتابة وتحبب الكثيرين في القراءة.

الكتاب سيحافظ على خصوصيته؛ فالتكنولوجيا ووسائل الاتصال الحديثة تطوره ولا تلغيه, وسيبقى الشكل التقليدي للكتاب هو الأساس. في حين يرى البعض أن الكتاب المطبوع سوف يتراجع لصالح الثورة العلمية، وأن متعة القراءة من خلال الكتاب المطبوع كانت مرتبطة بالأجيال السابقة، أما جيل الكمبيوتر من الشباب فمن المرجح أنه سيتعود على القراءة من شاشة الكمبيوتر.

إن معدل نشر الكتاب في الوطن العربي لم يتجاوز نسبة 0,7 % بحساب النسبة المئوية لحركة نشر الكتاب في العالم، في حين تصل نسبة النشر بأوروبا إلى 54% و23% في آسيا حسب آخر تقارير اليونسكو. وضمن متعة استعراض الأرقام الدالة على الحركة الثقافية العربية، نقرأ أنه في مجال توزيع الصحف عبر العالم لم يتجاوز نصيب الدول العربية 1,52%، بينما تتجاوز نسبة توزيع الصحف في أوروبا 24%.

لاشكّ إذًا أن شبكة الانترنت استطاعت فرض رؤية جديدة لمفهوم المسافة بأبعادها الفيزيائية والثقافية والاجتماعية، ولم يعد على الكتّاب والمبدعين الانتظار طويلاً على عتبات أبواب الناشرين ومسؤولي الصفحات الثقافية المقيدين بدورهم بتعقيدات المساحة ومتطلّبات السياسات التحريرية. ولكن مع الاعتراف بالمزايا المتعددة للنشر الالكتروني مازالت هناك الكثير من التساؤلات والمشكلات المتعلقة بالطريقة والنوعية المرتبطة بسهولة هذا النوع من النشر. بالإضافة إلى عدم وضوح حقوق الملكية الفردية وإمكانيات القرصنة غير المحدودة المُتاحة عبر الشبكة العنكبوتية، مما يترك معايير هذا النشر عبر الشبكة ضبابية وغير واضحة المعالم.

لكن هل سنقول وداعًا للكلمة المكتوبة والكتاب الورقي؟! هل سيحل الكتاب الالكتروني محله؟!

إن الانترنت ستزيد من قدرة الإبداع والابتكار من خلال توفر المعلومات وتوفر العديد من وسائل التعلم الذاتي وتنمية القدرات الذهنية، خاصة أن التعامل مع النظم الآلية والبرمجيات يساعد على نمو التفكير المنطقي والمنهجي. في المقابل هناك من يقول إن الانترنت ستحيل عملية الإبداع إلى نوع من الاجترار (أو إعادة الإنتاج) لينحو الأدب إلى الوثائقية والفن التشكيلي إلى الكولاج (القص واللصق) والموسيقى إلى نوع من المزج الالكتروني، ويصبح إبهار العرض واستغلال إمكانات وسيط الإعلام عوضًا عن مضمون الرسالة التي ينقلها تحقيقا لمقولة «الوسيط هو الرسالة» التي أطلقها مارشال مكلوهان رائد التنظير الإعلامي».

بواكير ملامح الغزل في شعر جمال بن حويرب /تتمة/

من ذلك مقطوعته اللطيفة بعنوان (عناق) وقد تعانق فيها الواقع بالخيال والقديم بالحديث:

ولما تعانقنا عناق مودع

وتمتمتِ همساً بالذي أنا عالمه

وهبت على الروحين ريح صبابة

وأمواج حزن لا تزال تلاطمه

وكانت سحاباً والمشاعر رعدها

وعيناك برق و الظلام طلاسمه

أهلّت على أرض الفراق دموعنا

فأعشبت الآمال وانجاب قاتمه

وعدنا وعادت والعناق وعشقنا

وغنّى وغنّت روضه وحمائمه

*

وكان من الألطف أن يقول: (وعدت وعادت) وليس (وعدنا) فلا ضرورة لتضخيم الأنا في مثل هذا الموقف الغزلي الذي يمحو فيه الحب كل اعتبار ودرجة.

ومن ملامح التجديد الغزلي لدى الشاعر اختياره الأوزان الشعرية المجزوءة التي تناسب عاطفة الحب لما فيها من خفّة وحركة وانسياب:

شوقي إليك يزيد

فهل لديك مزيد

ولي فؤاد معنّى

ومن هواك عميد

فأنت روحي وقلبي

وأنت مني الوريد

*

ومع ما في هذا الاختيار من مغامرة للسقوط والتسطح والنثرية، وهبوط مستوى اللغة الذي حاول الشاعر تجنبه، فنجح لكن لم يسلم في بعض أجزائها من النثرية، وقد يعمد الشاعر إلى عصرنة شعره باستخدام وسائل العصر الحديثة، فمن قبل كان الحب يعيي الطبيب المداويا، لكنه بقلم الشاعر «جمال» يلتمس دواء له من «صيدلية» مرضى الحب و هي صيدلية تداوي القلوب العاشقة....

وعلى غرار العشاق الغزليين في التراث العربي، يحتلّ الحاسد والواشي مكانه في التفريق بين قلبين محبين جمع بينهما العشق منذ الطفولة... كقوله:

تعلّقتُها غِرّاً ولم أدر ما الهوى

ولا عائدات الحب كيف تعود

حسودٌ سعى بيني وبين أحبّتي

ألا إن كيد الحاسدين شديد

لكم فرّقوا من معشر وتربّصوا

فلم ينجُ منهم جاهل ورشيد

وقد تبرأ الأجساد من كل علّةً

سوى الحقد داء لا يزال يزيد

*

وللشاعر محاولات محدودة في شعره، حاول من خلالها أن ينهج قصيدة الحداثة دون أن يعمّيها بالانزياحات الشعرية والتكثيف . وقد وفق في بعضها أثناء مناجاة المحبوبة:

يا مرفأ أحلامي الكبرى

في الزمن الصعب

يا حبي الأول والآتي

يا نهر الصبّ

يا كل العالم يا امرأة

تتقن فن الحرب

أشقيت حبيبك سيدتي

وظلمت الحب

فوا كبدي

*

ويحمد للشاعر أنه لا يقصر غزله على محبوباته البعيدة، فهو يدعو المتزوجين أيضاً إلى معاملة زوجاتهم معاملة تليق بكرامة الزوجة فهي حبه الأول، وأم أولاده، فمن حقها أن تسمع منه كلمات الغزل، وأن يعاملها برفق وودّ، ويحلّ المشكلات الزوجية العارضة بالرفق واللين... يقول في قصيدة عنوانها (نصيحة للمتزوجين):

يا صاحبي ناد الحبيب مرخّماً

واجهد له وارفق به فلربما

وابعد قليلاً ثم زره وصف له

ألم النوى ولعله أن يرحما

وانظر إليه تحبباً وتعطفاً

إن الحبيب يسوؤه أن تألما

والنفس تسأم بالوصال وطوله

والبعد قرب فيه تجديد الدّما

والمشكلات يحلها لبق إذا

تلتف فرّق شملها وتقدما

والرفق أفضل ما صحبت مقرّبا

والعنف كم سام القلوب وهدما

هذي نصيحة من تجرّع في الهوى

كأسَ الجوى وأحلّ فيه وأحرما

من قبل لم يكن الشعراء القدامى يخصون زوجاتهم ببعض مشاعرهم فيما يبدعون إلا عند الفراق الأبدي، حيث يذرف الشاعر دمعه مستحيياً خشية أن يُطعن برجولته إذا لم يتجلد... وقال الشاعر جرير يرثي زوجته:

لولا الحياء لعادني استعبار

ولزرت قبرك والحبيب يزار

وأي حياء تفرضه هذه الأعراف التي تفرق بين قلب المحب ومن يحب؟...

وأخيراً... إن «جمال بن حويرب» شاعر غزل استصفى في غزله جماليات الشعر العربي، وكل ما حمله من مشاعر رومانسية، وأهلته موهبته الشعرية وصداقته الطويلة للشعر العربي الفصيح والشعبي أن يكون غزله جسراً بين الموروث الغزلي و المعاصر، والتماس موقف وسطي بين القديم و الحديث، وبذلك ردم القطيعة أو الهوة التي أقامها شعراء الحداثة بين شعرهم في الغزل والشعر الغزلي الموروث، فكان شعره الغزلي أقرب إلى القارئ العربي الذي وجد فيه تعبيراً عمّا في نفسه من المشاعر، وألصق بواقعه، وهو الذي مازال وفياً لتراثه وقيمه وأعرافه...

رسالة إلى سيدة /تتمة/

أمي التي أنجبني رحمها، ثم ماتت بعد مضي حفنة من السنين على ولادتي، وتركتني شريداً في عالم من الصخور الصوانية والمعادن الفولاذية. وفي الحق إنها المكان الذي غادرته أنا منذ دهر، ولكن من دون أن يغادره قلبي حتى الآن،ولن يغادره إلى أبد الآبدين،وإنه لعالم شرس، بل مفترس، ذاك الذي حرمني من مسقط رأسي طوال هذه المدة ومنحه للأغراب والمتطفلين «.

كما يستحضر أيضاً صورة دمشق وغوطتها الساحرة، وما آلت إليه اليوم فيتساءل: «ولا أدري لماذا أجد صلة نسب بين حبنا وبين الغوطة الغناء،بل لا أدري لماذا أعتبر بأن حبنا هو ابن الغوطة الخصبة على وجه الحصر...»

ويقول في دمشق « أما دمشق التي كانت فاتنة في غابر الأعوام فهي أمي بالتبني، أمي التي آوتني وضمتني إلى صدرها الحنون، وأجلستني في حضنها الدافئ الرؤوم، بعدما خسرت الوطن الأول الغالي على فؤادي الملتاع. ومن حسن حظي وحظك ,أيتها المرأة المخلوقة من جوهر العذوبة وزبدة البراءة،أننا عرفنا دمشق وهي لم تزل في الريعان، ويوم كنا نحن ما فتئنا أغراراً يافعين، ولست أغالي إذا ما زعمت بأن من لم يعرف دمشق في تلك الأيام الخوالي، أو تلك السنين الهيفاء ذات البياض الثلجي الناصع، ومن لم يستيقظ باكراً ليجيء إلى هذه الدنيا قبل أن تخسر شبابها ويذوي نسغها وينضب زيتها ,قد فاته خير كثير، وحلت به خسارة لا تعويض لها آخر الدهر. لقد افتض المال بكارتها، وأفسدتها السياسة ذات الماهية الغوغائية، التي لا تمس شيئاً من دون أن تحوله إلى هشيم يابس بغير حياة.

تعزية

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي يتقدمون بأحر التعازي من الزميل الدكتور المهندس هزوان الوز وزير التربية وعضو اتحاد الكتاب العرب بوفاة والده، راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

إنا لله وإنا إليه راجعون

المراسلات:
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117241-6117240
-فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 15ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشتراك السنوي -داخل القطر:أعضاء اتحاد الكتاب العرب 500 ل س - للأفراد1000ل.س
-وزارات ومؤسسات1217ل.س - في الوطن العربي:للأفراد300 ل.س أو30 $ - للوزارات والمؤسسات 4000ل.س أو40$-خارج الوطن العربي:للأفراد 6000ل.س أو 120$ -
للمؤسسات7000ل.س أو140$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهات نظر أصحابها

www.awu-awu.sy
E-mail : aru@tarassul.sy

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدقّقة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- لا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
- يرفق مع المادة (C.D) أو ترسل عبر البريد الإلكتروني.
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.
- لا يرسل الكاتب أكثر من مادتين.

اجتماع الجمعيات لانتخاب مقرر وأمين سر لعام ٢٠١٢

السيد الأستاذ عضو اتحاد الكتاب العرب
المحترم

تحية عربية:
بناءً على أحكام النظام الداخلي للاتحاد، وأحكام النظام الداخلي للجمعيات في الاتحاد المادة /12/ منه، حول انتخاب مقرر وأمين سر لكل جمعية، تحدد اجتماع الجمعيات حسب الجداول والتواريخ المحددة أدناه لانتخاب مقرر وأمين سر لعام 2013 آملين حضوركم في الموعد.

اسم الجمعية	تاريخ الاجتماع	ساعة الاجتماع
1ـ الترجمة	الاثنين 2013/1/7	الحادية عشرة
2ـ القصة والرواية	الأربعاء 2013/1/2	الحادية عشرة
3ـ النقد الأدبي	السبت 2013/1/5	الحادية عشرة
4ـ المسرح	الأربعاء 2013/1/9	الحادية عشرة
5ـ أدب الأطفال	الأربعاء 2013/1/9	الثانية عشر
6ـ البحوث والدراسات	الثلاثاء 2013/1/8	الحادية عشرة
7ـ الشعر	السبت 2013/1/12	الحادية عشرة

ملاحظة: في حال عدم اكتمال النصاب القانوني يؤجل الاجتماع لمدة ساعة واحدة ثم يعقد الاجتماع ويعتبر قانونياً مهما كان عدد الحضور.
جدول الأعمال:
1ـ انتخاب مقرر وأمين سر الجمعية لعام 2013 على أن يكون قد مضى على عضويتهما خمس سنوات دون سنتي الترشيح علماً بأنه لا يجوز أن يستمر المقرر وأمين السر أكثر من سنتين متتاليتين حسب المادة /12/ من النظام الداخلي للجمعيات.
2ـ ترشيح عضو واحد للسفر خارج القطر ضمن وفود الاتحاد لعام 2013 (النقد، أدب الأطفال، الترجمة، المسرح) وعضوين لبقية الجمعيات علماً بأن الأسس لاختيار المرشح للسفر ضمن وفود الاتحاد:
أ) أن يكون قد مضى على عضويته في الاتحاد خمس سنوات دون سنتي الترشيح.
ب) المرشح من قبل الجمعية.
ج) العدالة بين مرشحي الجمعيات.
د) التأكد من عدم سفر المرشح ضمن وفود سابقة ولا يحتفظ المرشح في عام سابق إلا إذا أعيد انتخابه.
هـ) القدرة على الحوار والبحث.
و) حضور اجتماعات وأنشطة الجمعية والفروع بنسبة 40% على الأقل.
ز) الحضور الثقافي.
ح) السن والوضع الصحي.
يختار المكتب التنفيذي من تنطبق عليه الشروط السابقة.
3ـ ترشيح أعضاء للمشاركة في لجان القراءة لعام 2013.
4ـ ترشيح أعضاء لجان التزكية لعضوية الاتحاد لعام 2013 علماً بأن معايير اختيار عضو لجنة القراء والتزكية هي:
أ) أن يكون قد مضى على عضويته في الاتحاد خمس سنوات دون سنتي الترشيح.
ب) حضور ثقافي.
ج) ثقافة موسوعية واسعة.
د) توافر الموضوعية والنزاهة والحياد.
هـ) سرعة الاستجابة وحسن الأداء.
و) الالتزام بإعداد تقرير وافر عن المخطوط.
ز) عدم التأخير في المخطوط وإعادته خلال عشرين يوماً
5ـ تحديد موعد الاجتماعات الدورية كل شهرين لعام 2013.
وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

دمشق في 2012/11/12

د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب

(خوسيه مانويل كاباليرو بونالد) يفوز بجائزة ثربانتس

أعلنت وزارة الثقافة الإسبانية فوز الشاعر والروائي وكاتب المقالات الإسباني (خوسيه مانويل كاباليرو بونالد) - 86 عاماً - بجائزة ثربانتس، وهي أرفع جائزة أدبية للدول الناطقة بالإسبانية.وقيمتها 125 ألف يورو (162 ألف دولار) وتُمنح سنوياً.

ولد (خوسيه مانويل كاباليرو بونالد) في مدينة (خيريز دي لا فرونتيرا) بجنوب إسبانيا، لأب كوبي وأم فرنسية الأصل، وطور مسيرته الأدبية جزئياً في كولومبيا؛ حيث درس بجامعة في بوغوتا. ومنذ تأسست الجائزة عام 1975، تم منحها عادة بالتناوب لمؤلفين إسبان، ومن أميركا اللاتينية، فاز بها العام الماضي الشاعر التشيلي (نيكانور بارا).

سنابل الملح للشاعر الدكتور أنس بديوي

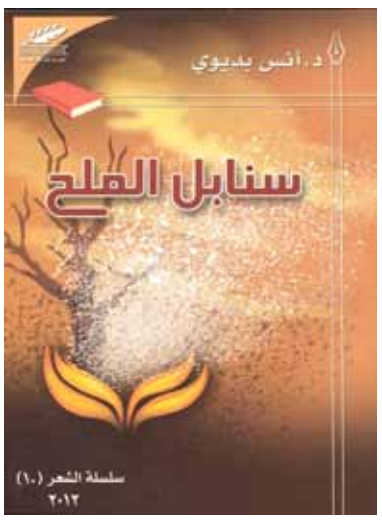

صدرت للشاعر الدكتور أنس بديوي مجموعة شعرية بعنوان «سنابل الملح» ضمن إصدارات اتحاد الكتاب العرب، سلسلة الشعر لعام 2012.
«سنابل الملح» نفس عميق يترجم الجمر في زمن بدأت أنفاس أشيائه تختنق.
تعتمد لغة المجموعة التكثيف، ببعديه الجمالي الفنّي والفلسفي الفكري، مستمدة من المهمّ العربي بـؤره تحفرُ في الذاكرة فيتشظى منها عبير الشعر.
تقرأ في المجموعة لوحات فنية صيغت بقالبها اللغوي، ولاسيّما قصيدتيه في ابنتيه "كاجين"، و«لمى» ليتجاوز النص إطار الخاص الطفولي، إلى العامّ الناضج رؤية واستشرافاً.
«سنابل الملح» انزياح دلالي يبدأ من العنوان، ويتماهى في الأبعاد اللغوية ليرسم أيقونة إنسان شاعر، مازالت تهزّه الدنيا إحساساً وفكراً ليهزها لغةً وشعراً.
أين الشاعر؟ ومن أيّ ثقافة يستمدّ نصُّه رافد الاتصال الدائم بدائرة الإدهاش الحافز على الكتابة؟ وكثيرة هي الأسئلة التي تضعها النصوص في مراكز اهتمامها، وتنقلها إلى فضاءات إيقاع الروح، وإيقاع صلصالها المتعمّد بدم هذا الكون الطاهر.

الأسبوع الأدبي
جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المدير المسؤول: د. حسين جمعة
رئيس اتحاد الكتاب العرب
رئيس التحرير: غسان كامل ونوس
مدير التحرير: عياد عيد
المدير الفني: نضال فهيم عيسى

هيئة التحرير:
إسماعيل الملحم - د. حمدي موصللي - زهير هدلة
-د. عادل فريجات - مريم خيربك

ليس آخراً

غسان كامل ونوس

قول!

هل يكفي ما تبقى من وقت لقول الكلام المباح؟! وإلى أي حدٍّ يتاح ذلك؟! ومتى، إذن، يقال الكلام غير المباح؟! وإلى من يوجَّه؟! وما الفائدة؟! وهل سيُسمح به؟! لكن.. من الذي يسمح أو يمنع؟! ومن الذي يحدّد المباح من الكلام أو غير المباح؟! ومن أعطاه الحقّ بذلك؟! أم أن «عنتر لم يجد من يمنعه»؟!

أم.. لم يكن لديّ الدافع أو الحماسة أو القناعة أو الجرأة للقول؟!

وإذا كنت أتردد كثيراً في القول، حتى إذا ما كنت وحيداً، وأخشى أحياناً أن أفكّر؛ ناهيك عن أن أقرر؛ فهل يحقّ لي التساؤل أو اللوم أو الشكّ أو الاتهام؟! وهل أستحقّ فرصة أن أقول، أو أن يُستمَع إليّ، أو يُنتظَر مني القول؛ ناهيك عن الفعل، حتى المباح منه، قبل التساؤل عمن يحقّ له تقرير ذلك أو تحديده أو تقويمه؟!

وليس السؤال عن المستمعين، عددهم في هذا الحيّز أو ذاك، ونسبتهم في الناس، ومستواهم.. بمسوّغ للسكوت، ولا الانكفاء بذي معنى، أو جدوى؛ لأن هناك من يفكّر، لا شكّ في ذلك، وهناك أو هنا من يتمنى أن يستمع، وليس منظوراً أو مشهوداً بالضرورة، ولا قريباً؛ فلم يعد كبير صدى للبعد والقرب، بعد القدرات المحمومة للاتصال والتواصل، والرغبات المتجددة للمعرفة والتدخّل بنوايا شريرة وطيبة؛

سأفكّر بحسن نية؛ فلا بدّ أن هناك من سيكون مهتماً بهذا القول، وبحسن نيّة ربما، وينتظر مني أو من سواي ذلك، ولديه ما يقول، وقد يسارع للحديث أو السؤال، أو البوح؛ فهل أخيّب ظنه، وأتقاعس عن منحه متعة البوح ومنّة الاستماع؟! وهل هي منّة أم أمنية لي قبل أن تكون أعطية أو هبة؟!

ربما كان لديه ما يقارب ما لديّ، أو يشبهه، أو يغنيه؛ وفي ذلك خير، وفي غيابه خسران وشحّ ربما!

ليس هذا فقط؛ ولماذا لا تعترف، أو لا تفكّر بصوت عال أو خفيض، أو لا تعلن؟! أليس في الكلام متعة؟! أليس في القول حضور أو اختبار أو ثقة تحتاج إليها؟! أليس في التصريح راحة، وفي الاستماع إلى النفس مسؤولية؟! أليس في ترداد الأفكار المخفيّة والأحاسيس المكتومة لذة تقارب تحقّق الغاية منها، أو بعضها، أو قد تبزّها؟!

فلا يجوز التهاون في هذا الأمر أو الاستسلام للعجز والقنوط والتشاؤم، ولا التغافل، ولا التعنت؛ ولا يصحّ السؤال عن الوقت المتبقي، والفرص التي قد تتاح، والمستمعين غير اللاهين أو غير المنشغلين بأشياء أخرى، وأقوال أخرى وأفكار وأحداث، تراها غير مناسبة أو غير جديرة، وقد تكون كذلك، أو لا تكون، فتسهم في تفنيدها أو تأكيدها، كما قد يسهم في كشف آرائك وأفكارك من لا تتوقع، ولا تنتظر؛ ينبغي، إذن، أن يكون السؤال الدائم: هل لديّ ما أقول؟! بصرف النظر عن المتاح والمباح، الممنوع والمسموح به؛ هل ما لديّ يستحقّ؟! وهل ينبع من داخلي ويعبر عن مشاعري وهواجسي ووساوسي وهمومي وآمالي، وبالتالي يعني أحوال آخرين ومصائرهم؟! أم أنني أردّد ما يقال في مهرجان القول المسفوح بلا وعي أو همّ أو حساب أو إيمان، وما يُستعرض من شعارات ومصطلحات عبر القوّالين والمدّاحين والنوّاحين، والمروّجين المسوِّقين المعلِنين؛ ولست سوى عنصر نكرة في جوقة مسحورة أو مأمورة أو مأجورة؟!

وهل أحتاج إلى مستمع أو مفكّر أو قادر أو مُواسٍ أو مُقرِّعٍ أو عاتب أو ساخر.. لأقول أو أعيش، أو أنتهي بلا خزي أو خذلان؟!

هل ينتظر الوقت والظرف والمناسبة و.. العمر؟! أم أنتظر أكثر؟! أم أتحدّث إلى لا أحد، أو إلى أيّ كان، بما أحسّ وما يقلقني، وما آمل، وما أسعى إليه بلا تردّد، ولا يأس، ولا خوف؛ ولا بأس في من يقول، وفي ما يقولون؛ فـ«الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ»!!

***

gassan.wannous@gmail.com